مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغـــــداد

ذو القعدة ١٤٠٨هـ ـ حزيران ١٩٨٨م

مَوادُّ البَيانِ لِعَليّ بن خَلَفٍ الكاتِبُ

الدكتور نوري حمودي القيسي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

لقد كان من خير المكتبة العربية التي توجت بنتاج الفكر العربي وازدهرت بثمرات الاوراق التي قدمتها العقول النيّرة وابدعتها افكار الرواد الاوائل ان تفيض على العالم بعلوم نافعة واداب جمة ، بقيت فضائلها تشع على الآخرين بما تظهره وتغني الحضارات بما تقدمه لتضيء جوانبها وتملأ صفحاتها وتتسرب الى ثقافتها .. فكانت مناراً يُهتدى بها واقباساً تنير زواياها . وقد كتب على هذه المكتبة التي ظلت مصدرا دافقاً ترفد العصور بعطائها وبقيت ينابيع ثرّة تنهل من عيونها الاجيال أن تتعرض لما تعرضت اليه حضارتها وتصاب بما اصيبت به كثير من مظاهرها لتُصبح نهباً للضياع وعرضة للطمس ومجالاً لعبث الزمن وعوادي الدهر فضاع منها ما ضاع وفُقد ما فقد واندثر ما اندثر وكتب على اكداس منها أن تفترش السقوف والحيطان والتراب لتظل مغمورة فيها . وعلى امتداد الزمن الطويل الذي يفصل بين زمن المؤلفين وزماننا قيّض الله لبعض المحققين ان يهتدوا الى بعض تلك المخطوطات فنفضوا عنها غبارها ومسحوا عن وجهها قتامة الزمن وازاحوا عن كنوزها حجب النسيان لتظهر وقد اكتست رداءها واشرقت قسماتها وتجلّت افكارها بعد أن اجهدت هذه النخبة من المحققين بما تعرضت له من متاعب وتحملته من مشاق وصادفته من عوائق ولكن ايمانها بهذه الكنوز وارتضاءها بما عاهدت ضميرها عليه نفسها واخذته عليها من عهد كان أقوى مما تعرضت له وأصلب مما تحملته واشد مما احاط بها فنهضت بمهمتها خير نهوض لتضع بين الدارسين من هذه الكنوز ما يصحح الاحكام ويُعين على متابعة الافكار ويهيء المناخ الملائم

لمعرفة الوجوه المختلفة في كل علم من العلوم . وقد سَنّتْ بعض الجامعات المصرية في بداية هذا القرن سنّة حسنة حين وجهت طلاب الدراسات العليا الى أن يتقدموا مع رسالاتهم العلمية تحقيقا لمخطوط يمت بالصلة الى موضوع الرسالة وعسى ان يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا الامر ضريبة علمية لابد من ادائها .(١) وما احرانا ونحن نتبنى احياء التراث العربي من اعادة هذه السنة الحميدة في كل ضرب من ضروب المعرفة اسهاما في نشر التراث وتواصلا مع الغاية العلمية واحياءً لما طوته العوادي في بطون الضياع ... لنعيد بعض ما ندعو اليه ونقوّم ثقافة الابناء بوقوفهم على نتاج العلماء الاجلاء الذين قدموا ثماراً يانعة في كل باب من ابواب المعرفة واخلصوا نياتهم لكل ما يُعين الامة على النهوض والتقدم واذا حفل العصر بتحقيق اعداد كبيرة من المخطوطات أو الوقوف على مجاميع منها في كل ابواب المعرفة واذا استطاعت هذه الكتب المحققة او المجاميع الشعرية ان تضيف ما يصحح بعض الاراء او يقوم جانبا من الافكار او يغني بعض الدراسات فان كتاب مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب المتوفى بعد سنة ٤٣٧ يعد حلقة وصل بين مرحلتين من مراحل التأليف في صناعة الكتاب والبلاغة وادب الترسل . وعلى الرغم من اعتماد الكتب المتأخرة عليه حيث نقل منه صاحب صبح الاعشى . اكثر من مائة وثمانين موضعاً حتى اصبح مصدراً رئيسيا من مصادره ولكن نسبة النقول تتفاوت بين جزء وآخر ففي الجزء الأول والثاني اعتمد عليه عشر مرات في كل جزء ولم نجد له ذكراً في الجزء الرابع والخامس وتقفز نسبة اعتماده الى اكثر من اربعين مرة في الجزء السادس وهي نسبة تؤكد مدى اعتماد القلقشندي عليه في هذا الجزء لتوافق مواده موضوعات صاحب صبح الأعشى .

ومن الطبيعي ان نسبة التفاوت هذه تظهر حين نجد مفردات صبح الاعشى تطابق ومفردات مواد البيان لتأخذ مساحتها الواسعة في هذا السفر الكبير

(١) عبد السلام هارون . نوادر المخطوطات القسم الاول (المقدمة) ١٩٧٢ .

واذا كان عنوان الكتاب قد اخذ هذا الحجم فان اسم المؤلف يأخذ مساحة اخرى حين نراه يذكره بالاسم (٢٤) مرة دون المؤلف .

ان ضآلة المعلومات المتعلقة بمواد البيان وندرة المعارف التي تحدد طبقة المؤلف او تعرض للتعريف به حملت المؤلفين المحدثين على ان يجتهدوا في ايجاد ترجمة له او يلحقوا به اوصافاً ليست له بها علاقة ولكنهم حاولوا أن يتابعوا الاسماء المشابهة التماساً لما يرومون التوصل اليه ولكن المتابعة الدقيقة لتلك الاسماء وتواريخ وفياتها وما اسند اليها من وظائف تؤكد اخفاق تلك المحاولات وابتعادها عن العصر الذي عاش فيه المؤلف ويبقى (ابو الحسن علي بن خلف بن علي بن عبدالوهاب الكاتب) اسماً مفرداً بقدر المصادر المتوفرة ولعل مصادر اخرى تكشف لنا ترجمة وافية عن حياته التي لم تتعرض لها المصادر وتبقى اشارة حاجي خليفة (٢) يتيمة في ايراد اسم الكتاب ونعته بـ (موارد البيان) وهو تحريف بائن .. وتأتي عبارة المؤلف في الصفحة ٣٩٦ من المخطوط اشراقة لامعة في تحديد الحقبة التي كتب فيها الكتاب حيث يقول وهو يتحدث عن الخراج باعتباره من كتاب الدولة الفاطمية .

ويذكر الغاية في اختلاف السنين الشمسية والهلالية التي ذكرناها امام ذكر هذا الرسم والاضطرار الى الجمع بينهما اذا افترقا ... ومذاهبهم في ذلك واستمرارهم عليه الى أن اخترت الشريعة الهادية الاحكام على الشهور والسنين الهلالية فاجتبيت فيها الصدقات والجوالي والمقاطعات وأجر الرباع وسائر ما يجري على المشاهرات واجتبيت في السنين الشمسية اموال الخراج والمعاملات الديوانية وانه لو اغفل الحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة الى سنتنا هذه وهي سنة سبع وثلاثين واربعمائة اربع عشرة سنة بالتقريب .

(٢) حاجي خليفة . كشف الظنون عن اسامي العلوم والفنون : ١٨٨٨ .

لقد فكت هذه الفقرة لغز الكتاب وقدمت خدمة جليلة لتحديد السنوات التي كتب فيها .

ويذكر المؤلف كتاباً آخر له ورد ذكره في الصفحة ٣٢٦ من المخطوط حيث يقول وهو يتحدث في الباب السابع عن اوضاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والعنوانات والادعية والتواريخ والختم فيقول .. وتتفرع من هذين الاصلين اقلام عدة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه بالة الكتاب والوجه في تصحيح حروف الهجاء ..

واذا كان القلقشندي قد وجد في مواد البيان بغيته في التأليف فان اشاراته المتفاوتة كانت تؤكد محاولات التنويع في النقل فهو يذكره « من انشاء علي بن خلف اوردها في مواد البيان » وبعبارة « قال في مواد البيان » وهي الاغلب الأعم . وبعبارة « انشاء علي بن خلف وعلي بن خلف هنا مجردة من كل صفة ويطيل احيانا فيذكر « وهذه نسخة اوردها علي بن خلف من انشائه في كتابه مواد البيان لترتيب الكتاب في زمن الفاطميين » (٣) .

او « وقد اورد علي بن خلف من انشائه في كتابه مواد البيان المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لارباب السيوف » (٤) .

ويأتي على ذكره احياناً بمقدمة . « من كلام المتقدمين علي بن خلف (٥) وهو في احيان كثيرة يجعله اول المستشهد بهم فيقدمه على ابن نباته وعلى غيره من صناع الكتابة وهذا تقويم لمنزلته وتأكيد لدوره في هذه الصناعة .

وتدل النصوص الكثيرة والرسائل المعتمدة التي استغرق بعضها احيانا ثلاثين صفحة على منزلته الرفيعة في عصره واستجابته لمتطلباته وبراعته في هذا الفن

(٣) القلقشندي صبح الاعشى ٣٨٦/٩ .
(٤) القلقشندي صبح الاعشى ٣٨٩/١٠ .
(٥) القلقشندي صبح الاعشى ٣٣/٩ .

الذي مَهّد لعصر القاضي الفاضل وغيره من صناع هذا الفن الرائع . بعد ان اكتملت اصوله وبانت فضائله وتخصصت اساليبه واتضحت اغراضه واصبح لكل مقام مقال فالاطالة لها تبريرها والتكرار والاعادة لها دواعيها والايجاز له ضروراته . وما يحتاج الى كيفية نظم الكلام يختلف عن جهة كثرة اللفظ وخاصة ما يكتب من السلطان في امر الاموال وجبايتها واستخراجها والإحماد والأذمام والثناء والتفريط والذم والاستصغار والعذل والتوبيخ لأن هذه المواقف تحتاج الى أن يشبع الكلام فيها ومثل هذه الأحوال تكون عند الكتابة الى العمال والامراء والكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور العظيمة والمسائل الجسيمة والفتوح الجليلة . والترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية وسبيلها ان تكون مشبعة فتملأ الصدور ، مقنعة تأخذ بمجامع القلوب ..

ومن خلال متابعتنا لرسائل علي بن خلف التي اعتمدها القلقشندي وسقطت من الجزئين التاسع والعاشر وشيء من الجزء الثامن تؤكد هذا التوجه الذي يَعدّ امتدادا لخصائص الكتابة في القرنين الثاني والثالث من حيث الاعتناء في جزالة اللفظ والاختلاف في الاسلوب والتنوع في الايجاز والاقتضاب والمبالغة في المعنى .

وقد افاضت كتب البيان وصناعة الكتاب بدراسة الحقب الادبية ومراحل تطورها وما عرفته من مذاهب الترسل توافقاً مع تغير الازمنة والدول وما ذهب اليه البعض من الكتاب باقتفاء طريقة القدماء من اتيان جزل الالفاظ وصحيح المعاني من غير التفات الى الاسجاع التي اخذها متأخر والكتاب الإ ما جاء من ذلك عفواً من غير استدعاء . وما اقتفى فيه الآخرون من الكتاب في بلاد الأندلس خطى المشرقيين في الكتابة شأنهم شأن الشعراء حرصاً على التواصل ووفاءً للموارد التي نهلوا منها وحفاظاً على الاموال التي اخذوا انفسهم باحترامها وتقديرها ...

ويبقى النثر المرسل هو المحمود في عصر مؤلف مواد البيان اذا اشتمل على شيء من السجع يجيء عفواً كما يقول الثعالبي . بعد أن اصبح السجع في موضعه لازمة يجود به الكاتب عن سماحة القريحة وان يكون في بعض الكلام لا في جميعه لأن الاطالة فيه جهل وعي كما يقول قدامة بن جعفر (٦) .

ولان الاجادة في فن السجع لا تواتي الا الافراد القلائل بعد الالتزام بما تطلبه اوصاف البلاغة وما تحدّده ضوابط الاداء السليم ..

ويعتمد علي بن خلف في كتابه مواد البيان على مجموعة من المصادر منها الاساسية التي الفها ابو الفرج قدامة بن جعفر الذي اعتمد عليه في اكثر من اربعة عشر موضعاً وابو علي الفارسي وابن المعتز اكثر من عشر مرات لكل واحد منهما .

و الحاتمي اكثر من تسع مرات وينقل احياناً عن الخليل بن احمد والاصمعي والرماني وابن دريد والثعالبي وآخرين . . ولم يحدد مصادر النقل احيانا ويذكرها في الاحايين الاخرى فيذكر الخراج لقدامة والبديع لابن المعتز وحلية المحاضرة والحالي والعاطل للحاتمي واجناس التخصيص للثعالبي . .

ومن خلال المتابعة للتعريفات البلاغية التي يقتصر فيها ابن المعتز وقُدامة بتعريفات لا تدخل الا في نطاق التحديد المعرفي لحالة الاضافة او شرح المصطلح او الايجاز الذي يؤدي فيه المعنى المطلوب نجد ان صاحب المواد يقدم تعريفات تخرج عن هذا الاطار وتغني المعاني بالضياءات جديدة التي لا نجد لها نظائر عند البلاغيين فالبلاغة عنده صور قائمة في النفس بمعانٍ جامعة لتلك الصور محيطة بها والفاظ مطابقة لتلك المعاني مساوية لها والبلاغة (كما يقول) عند العرب اشارة الى المعنى بلمحة تدل عليه لانهم يستحبون ان تكون الألفاظ أقلّ من المعاني في المقدار والكثرة ويأتي على تعريفات كثيرة والبيان اختصار المعنى

(٦) قدامة بن جعفر . نقد النثر ١٠٧

للنفس في صيغة توصله اليها من غير مهلة وانما قالوا من غير مهلة ليفرق بينه وبين الدلالة لأن الدلالة تحصر المعنى للنفس وان ابطت والبيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير توقف ، وانما قبل من غير توقف لانه قد يأتي التعقيد في الكلام الدال فلا يستحق اسم البيان على الاطلاق لموضع الحاجة الى التوقف عليه ومراجعة الفكر فيه .

واذا تحدث عن الترتيب قال : وضع الشيء في حقه ويقال ايقاع الشيء في موقعه ويقال تصيير الشيء في مرتبته وله حظ عظيم في تهذيب المعاني وتنقيحها وتعديل اقسام الكلام وتصحيحها ولما كان الكلام هو الطريق الى الأبانة عما في الاوهام وكان منه المستقيم والخطل والمرتب الحسن والمخلّط القبيح أحتيج الى تميزه ليسلم من وقوع عيب فيه لأن التخليط إذا وقع في الكلام افسد بنيته وسلب حليته وقبّح صيغته فان زاد فيه مع تخليطه ما ليس منه زاد ذلك في قبحه (٧) واذا دخل في تعريف الاجزاء كان التسهيم عنده (٨) .

لقب مُحدث لم تخلص له عبارة مهذبة من طريق الاشتقاق ، قالوا ومعناه ان يُصاغ الكلام صياغة معتدلة الاقسام كاعتدال خطوط البُرد المُسهّم التي لا تتفاوت ولا تختلف فانه اذا كان كذلك سَبق السامع الى استخراج قوافي منظومه وفواصل منثوره قبل ان ينتهي اليها مورده وكان تعريف التوشيح عنده أن يخلف لشاعر او يخلف غيره باشياء تتعلق بغرضه المقصود وتدخل في هذا الباب الذي هو فيه (ارادة الابداع) بتوشيح الكلام ثم يصرّح ويكشف المعنى ويفصح عما في نفسه .

---

(٧) المخطوط / ١٦٧ .

(٨) المخطوط / ٢٣٠ .

وتعريف المؤلف هذا لا يدخل في مجال التعريف الذي يذكره ابن المعتز او يحدده قدامة وانما يتجاوزه الى حالة ارادة الابداع التي تعطي هذا التعريف لوناً جديداً تحدده قدرة الانسان وثقافته .

واذا تابعنا المؤلف الى الباب السابع الذي يتحدث فيه عن اوضـــاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والعنوانات والادعية والتواريخ والختم كان قوله في الخط واحكامه .. ان الخط واللفظ يتقاسمان فضيلة البيان ويشتركان فيها اذ الخط دالٌ على الألفاظ والالفاظ دالة على الاوهام ولاشتراكهما في هذه الفضيلة وقع التناسب بينهما في كثير من احوالهما وذلك ان الخط واللفظ يعبران عن المعاني الإ ان اللفظ معنى متحرك والخط معنى ساكن وهو وان كان ساكناً يفعل فعل المتحرك بايصاله ما يتضمنه الى الافهام وهو مستقر في حيّزه ومكانه (٩) واللفظ فيه العذب الرشيق السائغ في الاسماع والخط فيه الرائق المستحسن الاشكال والصور واللفظ فيه الجزل الفصح وهو الذي يستعمله مساقع الخطباء ومفالق الشعراء ومنه المبتذل السخيف الذي يستعمله العوام في المكاتبة والمخاطبة والخط فيه المحرر والمحقق الذي تكتب به الكتب السلطانية والامور المهمة ومنه المُطلق المرسل الذي يكاتب فيه الناس ويستعملونه فيما بينهم ...

ولما اشترك اللفظ والخط في الفوائد العامة التي جعلت فيهما وقع الاشتراك ايضا بين آلتيهما وذلك أن الة اللفظ اللسان والة الخط القلم وكل منهما يفعل فعل الآخر في الابانة عن المعـــاني الا أن اللفظ لما كان دليلا طبيعيا جُعلت آلته آلة طبيعية والخط لما كان دليلا صناعياً جُعلت آلته آلةً صناعية ولما تقاسمت الآلتان الدلالة ايضا ونابت احداهما مناب الإخرى اوقعوا اسم اللسان على القلم واشركوا بينهما فيه فقال بعضهم القلم احد اللسانين وقال الاخر القلم

(٩) المخطوط / ٣٢٣ .

انطق اللسانين وقالوا الاقلام السنة الافهام ... ثم ينتقل الى الحديث عن الخطوط فيقول .. فان لكل خط من الخطوط قلماً من الاقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التي يصنع الصانع كل آلة منها جزءً وينتقل بعد الباب السابع الذي عرض فيه الى القول في العنوان والدعاء والتاريخ والختم الى الباب الثامن وفيه رسوم المكاتبات .

لقد سبق ان اكدنا في اكثر من دراسة الى أن العصور المتأخرة التي شهدت تحديات خطيرة كانت داعية في استيعاب التراث وممتلكة زمام الاحتفاظ بذخائره على وفق الوسائل المتاحة في عصرها بعد أن امتدت نظرتها الشاملة لتجد عصراً زاخراً وتاريخا حافلا وحضارة رائدة . وان استيعابها وتصنيفها وتنسيقها في اطار التآليف الكبيرة والموسوعات العلمية التي عبرت عن ازدهار المرحلة واستطاعت ان توفر منها ذخائر وتؤلف منها خزائن وتقدم عبر الزمن الممتد نوادر اوشكت ان تكون في عداد الذخائر المفقودة .

واذا كان الاهتمام باللغة يمثل التوجه الحقيقي للحفاظ على الشخصية القومية فان الانصراف الى تدوين التاريخ وتوثيق السيرة وما تحفل به من ايام وتزخر به من مآثر وتسجله من مواقف كان الصورة الاخرى التي مهدت الطريق للاعتزاز بالتاريخ القومي الذي اعطي الامة مآثورا حديدا وجدد في نفوس ابنائها استمرار الدعوة لكل ما يحفظ لهذا التوجه سلامته ويحقق للاجيال صورة التواصل بما يجعله مبعث استلهام ودافع اعتزاز لرسم مستقبل يليق بهذا المأثور وينسجم مع عطائه الذي ظل موضع ثقة واقتدار .

ان هذه الحقيقة التي تجلت في المراحل الاولى والتي عبر عنها علماء العربية تحدد المسار الواضح لحركة التاريخ وترسخ الاهتمام المباشر الذي قدم فيه هؤلاء العلماء مجاميع ضخمة من التراث اللغوي وكتب السـيرة والمغازي والايام والاخبار وما اتصل بهذه العلوم من معارف (١) .

وكان اثرها واضحا في اغناء الحركة العلمية الواسعة التي مهدت لازدهار الثقافة ووسعت دائرة البحث وفتحت مجال الاجتهاد الفكري في اطار المبادىء الاسلامية فكانت ابواب المعارف ميدانا لكل فكرة .

وعندما بدأت عوامل الضعف تدب في جسد الامة واسباب الخلاف تأخذ بخناقها وعناصر التفتت تمزق وحدتها وتغري بها خصومها وتنازعتها الاهواء واختلفت بها السبل كانت الحملة الصليبية بداية لتهديد الجناح الغربي ومحاولة لانتزاع ارض فلسطين واتخاذها جسرا للسيطرة على بقية الاجزاء . وفي الثلث الاول من القرن السابع تعرض الجناح الشرقي لتهديد اخر من ارتال التتر الذين عصفوا بحضارة بغداد بعد ان دام الصراع لاقتحامها ربع قرن تقريبا .

ان احداث هذين القرنين اثارت في نفوس الابناء نزعة الحفاظ ثانية على تراث الامة وهو يوشك ان يتبدد وحملتهم على ان يهيئوا انفسهم لاعادة جمعه وتنسيق افكاره وتوحيد اجزائه بعد ان امتد العصر ليتسع الى ثمانية قرون بضمنها فترة العصر الجاهلي وقد تكدس التراث الادبي طبقة بعد طبقة وتعاقب العلماء جيلا بعد جيل واتسعت الذاكرة العربية لتضم علوما مختلفة وفنوناً متنوعة وعاشت في اذهان علمائها صور العصور وهي تفيض فكرا خلاقا وثقافة مبدعة وصوتا انسانيا يحمل قيم الخير ويسعى لبناء المجتمع الانساني وتتابعت احداث الايام وهي تؤرخ لفترات ازدهرت في رواقها حلقات الاجتهاد وتمكنت في عقول ابنائها مدارس المناطقة واصحاب الكلام وتعالت في مدارس العلم اصوات الفقهاء وهم يستنبطون الاحكام ويقعدون القواعد ويمهدون الطريق امام الواقع الذي اوشكت ان تضيق به السبل وتحده حالات الوقوف عند النص . انها فترة العودة لكل ما اعطى الحياة رونقها فكانت صفة الجمع بين الاشياء ومحاولة التأليف بينها على تباعدها وجها من وجوه العصر وظاهرة متميزة من ظواهره بعد ان ظل ابناء العصر يجمعون من ثمار القرون السالفة مايعينهم على تزيين كتبهم

فانحصر ابداعهم في عرض تلك الثمار وتقديمها موسوعات شاملة وكتبا جامعة وتواريخ متواصلة ومعجمات لغوية للتراث الذي قدمته عبر القرون الماضية والجهد المحمود الذي انتجه العقل العربي الخلاق خلال الفترات منطلقين من ايمانهم باهمية التراث الذي خلفته الاجيال ومستمدين من روحه مايعينهم على جمع شتاته وتوحيد فصوله والحفاظ عليه من موجة الضياع التي اوشكت ان تعصف ببعض مراكزه واستباحة مؤسساته العلمية وتشتيت حملة الفكر والقلم .

ويحتفظ كتاب صبح الأعشى بمادة وفيرة منه في البابين التاسع والعاشر من كتاب مواد البيان اللتين سقطتا من المخطوطة وسنحاول في هذه المقدمة ان نثبت ما اورده القلقشندي لعلي بن خلف من انشائه في كتابه مواد البيان المؤلف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لارباب السيوف . وهو نص واحد من عشرات النصوص التي ستأخذ طريقها لاكمال الناقص واتمام الساقط واعادة ترميم النسخة الفريدة من هذا المخطوط .

في الجزء العاشر قال صاحب صبح الاعشى وهو يتحدث عن مذاهب الكتاب .

وقد اورد عليّ بن خَلَف من إنشائه في كتابه « موادّ البيان » المؤلَّف في ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدّةَ تقاليدَ لأرباب السُّيوف .

منها — تقليد في رسم ما يُكتب للوزير ، [وهو] :

الحمدُ لله المنفرِد بالملَكُوت والسلطان ، المستغْنِي عن الوُزَراء والأَعْوان ؛ خالِق الخَلْق بلا ظَهِير . ومُصوِّرِهم في أحسَنِ تَصْوير ؛ الذي دَبَّر فأتقَن التدبير ، وعَلاَ عن المُكَلَّف والمُشِير ؛ المانّ على عباده بأن جعلهم بالتوَازُر إخْوانا ، وبالتظافُر أعْوانا ؛ وأفقر بعضَهم إلى بعض في انتظامِ أُمورهم . وصلاح جُمْهورِهم .

يحمدُه أمير المؤمنين أن استخلفه في الأرض ، وناطَ به أسبابَ البَرْم والنقض ؛ واسترعاه على بَريَّته ، واستخلصه لِخلافته ؛ وقيَّضه لإعْزاز الإسلام ، وحياطة الأنام ، وإقامة الحُدُود وتنفيذ الأحكام ؛ ويسألُه الصلاة على سيدنا محمد خاتَم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ؛ المؤيَّد بأفضل الظُّهَراء ؛ وأكمل الوُزَراء : عليِّ بن أبى طالب المتكفِّل في حياته ، بنَصْره وإظهار شريعته ، والقائم بعد وَفَاته ، مقامَه في أُمَّته صلى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذرِّيتهما ، مفاتيح الحقائق ، ومصابيح الخلائق ؛ وسلَّم ، وشرَّف وكرَّم .

وإنَّ الله تعالى نظَر لخلْقه بعين رحمته ، وخصَّ كُلاً منهم بضَرْب من ضُروب نعمته . وأقْدرَهم بالتعاضُد . على انتظام أُمورهم الوُجودية ، وأوْجدهم السُّبُل بالترافُد ، إلى استقامة شئُونهم الدُّنْيويه : لتنْبجس عُيونُ المَعَاون بتوازُرهم ، وتَدرّ أخلافُ المَرافق بظافُرهم .

وأوْلى الناس بأتِّخاذ الوُزَراء ، واستخلاص الظُّهَراء ، من جعله اللهُ تعالى إلى حقِّه داعيا . ولخلْقه راعيا ؛ ولدار الإسلام حاميا ، وعن حَماه مُراميَا ؛ واستخلفه على الدّنيا وكلَّفه سياسةَ المسلمين والمُعاهَدين ، ولذلك سأل موسى عليه السلامُ وهو القَويّ الأمين ، في استخْلاص أخيه هارُونَ لوزَارته . وشدّ أزْره بمُوازَرته . فقال : (واجْعَلْ لي وَزِيراً مِنْ أَهْلي هارُونَ أَخي اشْدُدْ به أَزْري) . واستوزر محمدٌ صلى الله عليه وسلم وهو المؤيَّد المعصومُ الذي لا ينْطق عن الهوى ابن عمه علياً سيدَ الأوصياء ؛ بدليل قوله له : « أنْتَ منِّي كَهارُونَ من مُوسى إلاَّ أنَّه لا نَبيَّ بَعْدي» لأن الإمام لو تولى كلَّ ما قُربَ وبعدُ بنفسه ، وعوّل في حيطَته على حواسّه ؛ لنصَّ ذلك بتطرّق الخلَل . ودخول الوَهْن والشَّلَل ؛ وإنما تستعينُ الأئمةُ على ما كفَّلها الله بكُفاة الأعوان . وأهلِ النُّصْرة في الأديان ؛ وذَوي الاستقلال والتشمير . والمعرفة بوجُوه السياسة والتدبير ؛ والخِبْرة بمَجاري الأعمال . وأبواب الأموال ، ومَصالح الرجال .

وإنَّ أمير المؤمنين لم يزل يرتادُ لوزارته حقيقًا بها مستحقًّا نعْتَها ؛ جامعا بين الكفَاية والغَناء ، والمناصَحة والولاء ، والأُبوَّة والاختصاص ، والطاعة والإخلاص ؛ والنُّصْرة والعزْم ، وأصالة الرأي والحَزْم ؛ ونَفاسة السياسة والتدبير ، والنَّظَر بالمصلحة في الصغير والكبير ؛ والاحتيال والتأْديب ، وملابَسة الأيَّام والتجريب ؛ والانتماء إلى كريم المَناجب ، بضمير المَنَاصب ؛ ويكرِّر في الاختيار تقليده (١٠)، ويُجيل في الانتقاء تأمُّله وتدبُّره . وكلَّما عرَضت له مَخيلةُ قَمِن تُوافق إيثارَه ، أخلَفَ نَوْءُها ، وكلما لاحتْ له بارقةٌ تُطابقُ اختياره ، خبَا ضَوْءُها ؛ حتى انتهت رَويَّتُه إليك ، وأوقفه ارتيادُه عليك ؛ فرآك لها من بْينِهم أهْلا ، وبتقَمُّص سِرْبالها أوْلى ؛ وبالاستبداد بإمْرتِها أحقَّ وأحْرى : لاشتمالك على اعيان الخصائص التي كان زِيادٌ [لها] جامعا ، وحُلُولِك في أعيان المَناقِب التي لم تزل ترومها متحلِّيا بفرائدها ، وماشُهِرت به من إفاضة العدْل والإقْساط ، وإغاضة الجَوْر والإشْطاط ؛ وإنالة الحقِّ والإنصاف ، وإزالة الظُّلم والإجْحاف ؛ ومراعاة النُّصْح بانسانك شاهدا ، ومناجاتِه بحِذَارك جاهِدا ، ولنُهُوضك بالخَطْب إذا ألَمَّ وأشكل ، والحادِثِ إذا أهَمَّ وأعضل ؛ وتفرُّدِك بالمَسَاعي الصالحة ، والآثار الواضِحة ؛ والطرائق الحميدة ، والمذاهبِ السَّديدة ؛ والتحلِّي بالنَّزاهة والظَّلَف والعَطَل من الطَّبَع والنَّطَف ؛ وفضل السِّيرة ، وصِدْق السَّريره ؛ ومحبة الخاصَّة والعامّة ، والمعْرِفة بقدر الأمانة ، والاضطلاع بالصَّنيعة ، والحفظ للوديعة .

فرأى أميرُ المؤمنين برأيه فيما يرْيه ، ويقضي له بالصلاح فيما يعزم عليه ويُمضيه ويسدِّد مَراميَه ومساعيه ؛ ويتعَهَّدُه في جميع مقاصده بلُطف تحلُو ثِمارُه ، وتحسُنُ عليه وعلى الكافَّة آثارُه ؛ أن قد وَلاَّك النظر في

(١٠) لعله « تخيره » تأمل .

مملكته . وأعمال دولته : بَرّها وبحرها ، وسَهْلها ووَعْرها ، وبَدْوها وحَضَرها ؛ وردّ إليكَ سياسة رجالها وأجنادها ، وكُتّابها وعُرَفائها ، ورعيّتها ودواوينها . وارتفاعها ووجُوه جباياتها واموالها ؛ وعَدَق بك البَسْطَ والقبْض ، والبَرْم والنَّقْض ؛ والحطّ والرفع ، والعطاء والمَنْع ، والإنعام والوَدْع ، والتصريفَ والصَّرْف ؛ ثقةً بأن الصواب مَنُوط بما تُسْدِي وتُلحم ، وتُفيض وتنظِم ، وتَنْقُض وتُبرِم ؛ وتُصدر وتُورد ، وتُقَرّر وتأتي وتَذَر .

فَلْتَهْنَأ هذه النعمة متمليًا بَملْبَسها ، سارياً في قَبَسها ؛ وتَلَقّها من من الشكر بما يَسْتَرْهِنُها ويُخَلّدها ، ويقرّها ، عليك ويؤبّدها ؛ واعرِفْ ما أهّلك له أمير المؤمنين من هذا المقام الأثير ، والمحلّ الخَطير فإنّما ذلك فضْلُ الله يُؤْتيه مَنْ يشاء والله ذُو الفضل العظيم .

وأنت وإن كنْتَ مكتفياً بفضل حَصَافتك ، وثَقابة فِطْنتك ، وحُسْن ديانَتك ، ووَثاقة تَجْرِبتك — عن التبصير ، مستغْنِيا عن التنبيه والتذْكير ، فإن أمير المؤمنين لا يمتَنِع أن يزيدكَ من مَرَاشده، ما يقَفُك على سَنَن الصواب ومَقَاصده ؛ وهو يأمُرُك بتقوى الله تعالى في سِرّك وجهْرك ، واستشعار خَشْيته ومراقَبته ؛ والله قد جعل لمن اتّقاه مَخْرَجا من ضِيق أمره وحَرَجه . ونصبَ له أعلاماً على مَنَاهج فَرَجه . وأن تستعملَ الإنصافَ والعدل ، وتُسْبِغ الإحسان والفضْل ؛ وتُلِينَ كَنَفَك ، وتُظهر لَطَفك ؛ وتُحسن سَيْرك ، وتُفيضَ بِرّك ؛ وتصْفَح وتَحْلُم ، وتعفُوَ وتَكْرُم ؛ وتُبصّرَ ممن ترجُو صلاحَه وتفَهّمَه . وتُنْصِفَ من أفرطَ جِماحُه وتُقوّمَه ؛ وتأخذَ بوثائق الحَزْم . وجَوامِع العَزْم ؛ والغلظةِ والشدّة على مَنْ طغى ولَجَّ في غَيّه وعتا ؛ وبارزَ الله وأميرَ المؤمنين باالخلاف والشّقاق ، والانحراف والنّفاق ؛ مستعملاً فاضلَ التدبير عند المُوادَعه . وفاصلَ

المُكافحة عند المُقارَعَة ؛ مُصْلحا للفاسد ، مشتّتا للشارد ؛ مكثّرا لأولياء الدولة وخُلَصائها ، وحاصدًا لُبغاتها وأعدائها ؛ واعظاً مذكّرا للغافل ، مؤمّنا للمظلوم الخائف ، مخيفاً للظالم الحائف ؛ مستَصْلحا للمسيئين ، مذكّرا بإحسان المحسنين ؛ منجّزا لهم الجزاء على بَلائهم في الطاعة وآثارهم في الخدْمة . وأن تنظُرَ في رجال الدولة على اختلافهم نظرا يَسْلُكُ بهم سبيلَ السَّداد ، ويُجْري أمورهَم على أفضل العُرْف المعتاد. فأما الأماثلُ والأُمَراء . والأعيان والرؤساء . فتحفَظُ على من أحْمِدت طريقتُه . وعُرف إخلاصه وطاعتُه . شِعارَ رياسته ، وتزيدُ في تكرمته ، وتنتهي به إلى ما تتَراءى إليه مَواضِي هِمَّته .

وأمّا طوائفُ الأجناد فتُقِرُّهم على مَرَاتبهم في ديوان الجيْش المنصور ، وتخُصُّهم من عِنايتِك بالنصيب الموْفُور . وتستخدِمُهم في سَدّ الثُّغور وتسْديد الأُمُور ؛ وتُراعي وُصُولَ أطماعِهم إليهم ، أوقَات الاستحقاقِ إليهم ؛ وانفاقهم نصاب (١١) الوجوبِ منهم .

وأما الكُتّاب المستخْدَمون منهم في استخراج الأموال . وعِمارة الأعمال فتخُصُّ كُفاتَها بما تقتضيه كفايَتُهم . وأُمناءهم بما تُوجِبه أماناتهم ؛ وتَستبدلُ بالعاجز الخبيثِ الطُّعْمه ، والطَّبِع المستشعرِ شعارَ المذَمّه : ليتحفظ النَّزِه المأمونُ بنزاهته وأمانته . ويُقْلِع الدَّنِسُ الخَئُون عن دَنَسه وخيانته ؛ وتأْمُر من تختارُ لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يَسيروا بالسِّيَر الفاضلة ، ويعمَلُوا على الرُّسُوم العادلة ؛ فلا يضَيِّعوا حقًّا لبيت مال المسلمين ، ولا يُخيفوا أحداً من المعامَلين .

وأما الرعيَّة ، فيأمرُك أن تحكُم بينها بالسَّويه . وتعتمِدَها بعَدْل القضية ؛ وترفَعَ عنها نَيْر الجَوْر ، وتحميهَا من وُلاَة الظلم ؛ وتسُوسَها

(١١) المراد قيامهم بما يجب عليهم من استجادة الخيل والسلاح .

بالفضل والرأفة متى استقامَتْ على الطاعة ، وتأدّبتْ في التّباعه ؛ وتُقَوِّمها متى أجْرَتْ إلى المنازح والافتتان . وأصرّط على مَغْضَبة السلطان .

وأما الأموالُ وهي العُدّة الّتي تُرْهِف عزائَم الأولياء ، وتَغُض من من نَواظِر الأعداء ؛ فتستَخْرِجها من مَحَقّها ، وتضَعُها في مستحقّها ؛ وتجتهدُ في وُفُورها ، وتتوفّر على ما عاد بدُرُورها ؛ وأن تُطالعَ أمير المؤمنين بذَرّه وجلّه ، وعَقْد أمرك وحلّه ؛ وتُنْهِيَ إليه كل ما تعزِم على إنهائه . وترجعَ فيه إلى رائه: ليُكْرِمك من موادّ تبصيره وتعريفه ، ويزيدَك من هدايته وتوقيفه ؛ بما يُفضي بك إلى جادّة الخير وسبيله . ويوضّح لك عَلَم النّجاح ودليله .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك : وقد أوْدَعه من تلويح الإشارة . ما يُكتفى به عن تصريح العِبَاره ؛ ثقةً بأنك الأريبُ الألْمَعِيّ ، والفَطِنُ اللّوْذَعيّ ، الذي تنتهي به مئُونُ التذكير إلى أطرافه وحواشيه ، وتفْضي به هوادي القول إلى أعجازه وتَوَاليه .

فتقلّد ما قلدكَ أميرُ المؤمنين . وكُنْ عند حُسْن ظَنّه في فضلك . وصدِّقْ مَخيلتَه في كمالك . والله تعالى يعرّف أمير المؤمنين وجه الخيرة في تصيير أمره إليك . وتَعْويله في مهماته عليك . ويوفقك لشُكْر المَوْهِبة في استخْلاصك . والمِنْحة في اجْتِبائك . ويُنْهِضك بما حَمّلك من اعباء مُظاهَرته . وجَشّمك من أثقال دَوْلته . ويُسَدّدك إلى مايُدَرُّ عليك أخلاقَ]نعمته[. والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاتُه .

* ★ *

ومنها — ما أورده في رَسْم تقليد زَمّ الأقارب : وهو التقدمة على أقارب الخليفة ، وهذه نسخته :

الحمدُ لله الذي ابتدأ بنِعْمته ابتداءً واقْتَضابا ، وأعادَها جزاءً وثواباً ؛ ومَيَّز من اختصَّه بهدايةِ خلْقه ، واستخْلصه لإظهار حَقِّه ، بأضْفاها عِطافا ، وأصْفاهَا نَطافا ؛ وأحسَنِها شعارا ، وأجملها آثارا ؛ واستَخْرجهم من أطيب البريَّة أعْراقا ، وأطْهرها شِيَما وأخْلاقا ؛ وأقْدمِها سُؤْدَداً ومَجْدا ، وأكرمِها أباً وجَدّا ؛ وتوَحَّد بأفضل ذلك وأعْلاه ، وأكمله وأسْناه ، محمداً صفْوتَه من خُلَصائه ، وخِيرتَه من أنبيائه ؛ فأظهره من من المَنْجَب الكريم ، والمَنْجَم الصَّميم ، والدَّوْحة الطاهرِ عُنْصُرها ، الشريف جوهَرُها ، الحُلْوِ ثَمرُها ؛ ورَشَّح من اختاره من عتْرته لسياسة بريَّته ، والدعاء إلى توحيده وطاعته .

يحمدُه أمير المؤمنين أنْ شرّفه بميراث النُبوّه ، وفضَّله بأكرمِ الوِلاَدة والأبُوّه ؛ وأحلَّه في الذِّروة العالية من الخِلافة ، وناطَ به أمورَ الكافه ؛ ويسألُه الصّلاةَ على جدّه محمد وعلىٍّ أبيه ، صلى الله عليهما .

وإن أمير المؤمنين يرى أنَّ من أشرف نعم الله عليه مَوْقعا ، وألطف مواهبه لدَيْه موْضعا ؛ توفيقَه للمحافظة على مَنْ يُواشُجه في كريم نَسَبه ، ويمازِجُه في صميم حَسَبه ، ويدُانيه في طاهرِ مولِده ؛ ويُقَارِبه في طِيب مَحْتِده ؛ وتتزيل كلِّ ذي تميُّز منهم في دِين وعِلم ، ودراية وفهم ، وإحلاله بالمنزلة التي يستوجبُها بفا ضل نَسبه ، وفضلِ يكتَسَبه ؛ ويبعثُ أنظاره على التحلي بخِصاله ، والتزيُّن بخِلاله : ليحصَل لهم من فضْل الخلائق والآداب ، مايُضاهي الحاصَل لهم من عَرَاقة المناجب والأنساب ؛ ولذلك لايزالُ ينُوطُ أمورَهم ، ويكلُ تدبيرَهم ، إلى أعيانِ دولته ، وأماثِل خاصَّته ؛ الذين يعْتادُون حضرته ويراوحُونها ، ويطالِعُونه بحقائق أحوالهم ويُنْهونَها ؛ ويستخرجُون أمْرَه في مصالحهم بما يُذَلِّل لهم قُطوفَ إحسانه وطَوْله ، ويُعْذِب لهم مَشارعَ بِرِّه وفضله ؛ وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنيب .

فإن كان العهد إلى خادم ، قال :

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين معْدُودا في أُولي النَّباهه ، المترشَّحين للاستقلال بأعباء دولتِه وذَوِي الوجاهه ، المُستخْلَصين لاستكفاء جَلائِل مملكته : لمَا اجتمع فيكَ من إبَاء النفس وعِزَّتها ، ووَثاقة الدِّيانة وحَصَافتها ؛ وسدَادِ السِّيرة واستقامتِها ، ونَقاء السريرة وطهارتِها وتقَيُّلك مَنْهَج أمير المؤمنين ومذْهَبَه ، وتمثُّلك بهَدْيه وأدبِه ونشْئِك في قُصُور خلافته . وارتضاعك دَرّ طاعتِه — رأى — والله تعالى يعْزِم له على الخير في آرائه ، ويوَفِّقه لصالح القول والعمل في انحائه — أنْ قلَّدك زَمَّ بني عمِّه الأشراف الإسماعيليين ثقةً بسياستِك وحميدِ طريقتِك ، وإنافةً لمنزلتِك وإعْرابا عن أثيرِ مَكَانتِك .

وإن كان العهد الى شريف قيل بدَلاً من هذا الفصل :

ولمَّا كنتَ بحضرة أمير المؤمنين ممن زَيَّن شريفَ مَحْتِده ، بُمنيف سُؤْدَده . وطاهرَ مَوْلِده ، بظاهر مَحْتِده ؛ وكريمُ تالدِه بنفيس طارِفه ، وجليلَ سالفِه ، بنَهيل آنِفِه ؛ مقتفياً سَنَن أوّليَّتك ، مفرّعا على أصُول دَوْحتك ؛ ضارباً بالسَّهم المُعلىَّ في الدين والعِلْم ، حائزاً خَصْل السَّبْق في الرَّجاحة والفَهْم — رأى أمير المؤمنين أنْ فلَّدك بقابه بني عمِّه الأشراف القلانيين : ثِقةً بأنك تَعْرِف ما يجمْعُهم وإيّاك من الأرحام الواضحة ، والأَواصِر المتُمازِجة ؛ وتُحْسِن السِّيرة ، والتعهُّدَ لهم والتوفُّر عليهم .

ثم يوصل الكلام بأيّ الخطابين قُدّم فيقال :

فتقلَّد ما قَلَّدك أمير المؤمنين مستشعِراً هوى الله وطاعتَه ، معقداً ومراقبَتَه ؛ سائراً فيمَنْ وَلاك أميرِ المؤمنين بسيرته ، مسْنأ بُسنته ، متأدباً بآدابه . مقتفيا مَناهج صوابِه ؛ وإكْرام هذه الأسرة [التي] خَصّها الله تعالى بكرامتِه ، وفرض مودّتَها على أهل طاعتِه ؛ ونزَّهها عن الأدناس ،

وطهرها من الأرجاس ، فقال جل قائلاً : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) .

واعْرِف لهم حَقَّ مراتبهم الدانية من أمير المؤمنين ، ونَزِّلهم بحيثُ نَزَّلهم اللهُ من الدُّنيا والدِّين ، واعتمِدْ تعظيمَ مشايخهم وتَوْقِيرَهم ، وسياسةَ شُبَّانهم وتدْبيرهم ، وتقْويم أخلاقهم وتثقيفهم ؛ وخُذْهم بلُزُوم الطرائق الحميدة ، والمَذاهب السَّديدة التي تليقُ بأُصُولهم الطاهرة ، وفُروعهم المُثْمِرة ؛ ومَنَاحِتهم الصَّميمة ، ومَناجبهم الكريمة ، وتفَقَّد مَنْشاهم ومَرْبَاهم ، وخُلَطاهم وقُرَباهم ، فمن تناكَرتْ أعراقُه ، وأخلاقُه ، وأنسابُه ، وآدابُه ، بالغْتَ في تنبيهه وتَعْرِيفه ، فإن نَجَع ذلك فيه وإلا بَسطْتَ يدَك إلى تهذيبه ، وإصلاحه وتأديبه : لَيستيقِظَ من مَنامة غِرَّته . ويرجع إلى اللائق بشَرَف ولادته ؛ وانظُر فيما أُوقِف عليهم من الأملاك والمستَغَلَّات ، والضِّياع والإقطاعات ، والرُّسُوم والصِّلات ؛ وانْدُبْ لتولِّي ذلك مَنْ تسكُن إلى ثِقَته وأمانته من الكُتَّاب ، وراعِ سيرتَه في عِمَارته ، وطريقتَه في تَثْمير مالِه وزيادته ، فإن ألفيْته كافياً أمينا أقررتَه ، وإن وجدْتَه عاجزاً خَئُونا صرَفْته ؛ واستبدلْت به من يُحْسِن خَبَرَك . ويُطِيب أثَرَك ، وأجر الأمرَ في قسمته بين ذُكورهم وإناثهم على الرسوم التي يشهَدُ بها ديوانُهم ؛ واكْتُبِ الرِّقاع عنهم الى الحضرة في اقتضاء رُسُومهم ، وما يَعْرِض من مهِمَّات أمورِهم ، وتتنجز كلَّ ما يتعلقُ بهم وتنوبُ عنهم فيه : لتستقيم شئُونهم بسياستك ، وتنتظِمَ أحوالهم بحُسْن سيرتك .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فاعملْ به وانتَهِ إلى متضمَّنه إن شاء الله تعالى .

* ★ *

ومنها – ما أورده في رَسْم تقليدٍ بنقابة العَلَوِيِّين ، وهو :

الحُمد لله الذي انجبَ من أسْرار عباده قادَةً جعلهم لمَصَالحهم نِظاما . وانتخب من أخْيار خليقَتِه سادةً صيرَّهم لأُمورهم قِوَاما ؛ وعَدَق بهم هدايةَ مَنْ ضلّ . وتقويمَ من دَلّ ؛ وتعليمَ من جَهِل ، وتذكيرَ من غَفَل ، ونَصَبهم أعلاماً على طُرُق الرَّشاد ، وأدلةً على سُبُل السَّداد .

يحمُده أميرُ المؤمنين أن اختصَّه بأُثْرِه الخلافة والإمامة ، وميَّزه بزيَّة الوذ بمزيَّة الولايةِ على الأُمَّة والزَّعامة ، وأنهضه بما كَلَّفه من سياسة بريَّته وتنزيلِهم منازلَهم من اختصاصِه وإيثاره ، وإحْلالهم في مَحالهِم من استخلاصه واختياره ، ويسأله الصلاةَ على أشرف الأُمم نِجَارا وأطيبِهم عُنْصُرا . وأعظمهم مَفْخَرا ؛ سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمِّه . وبابِ حِكْمته وعِلْمه . أمير المؤمنين عليّ بنِ أبي طالب الراسِخ في نَسَبه . المُدانِي [له] في حَسَبه ، سيفِه الباتر ، ومُعْجِزه الباهر ، ومكَاتِفه المُظاهِر ، وعلى الأئمة من ذرِّيتهما المهدْيِّين ، وسلم تسليما .

وإنَّ أمير المؤمنين بما خَصَّهالله تعالى من شَرَّف المَنْجَم والمَوْلِد ، وكَرَم المَحْتد ، وخوّله من مَنَاصب الخلفاء والأئمةً ، وناط به من إمامة الأُمَّة – يرى أنَّ من نَعم الله التي يجبُ التحدّثُ بشُكْرها ، وتَحِقُّ الإفاضةُ في نَشْرها . توفيقَه للنظر في أحوال ذَوِي لُحمْته ، وأولى مُناسَبته ، المُواشِجين له في أَرُومته ، المعتَزِين آلى كرم ولادته ، وتوخّيَهم بما يُرْفِلُهم في مَلابس الجمال ، ويُوقِّلُهم في هَضَبات الجَلال ؛ ويُرتبهُم في الرُّتَب التي يستوجبونها [ويراها] أوْلى بمَغَارسهم وأنسابِهم ؛ وماسّاً بأنفسهم وآدابهم . ولذلك يصْرِف اهتمامَه إلى ما يجمع لهم بينَ شَرَف الأعراف ، وكَرَم الأخلاق ، وطهارة العناصِر والأواصِر ، وحيازةِ المَناقب والمآثِر .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين من جِلَّتهم العُلَماء ، وطَهرتهم الأزكياء ، وأبرارهم الصُّلَحاء ، وخيارهم الفُضَلاء ، الذين تضارعَتْ أخلاقُهم وأعرافُهم . وتقارَعتْ أنسابُهم وآدابُهم ؛ وتشاكهَتْ مواردُهم ومصادرُهم وتشابَهتْ أوائلهم وأواخرُهم ، واتفقت جيُوبُهم ودخائلهم ، وتوضَّحت عن الدين والخير مخايلهم . هذا مع ما يرعاه أميرُ المؤمنين من كريم مَساعيك في خدْمته ، وإصابة مراميك في طاعته ؛ واعتصامك بحبلْ مابعته ، ونُهوضك بحقوقِ ما أسبغه من نِعْمته — رأى أمير المؤمنين — والله تعالى يَقضى له في آرائه بحُسْن الاختيار ، ويُمده بالعون والتأييد في مَجارى الأقدار — أنْ قلَّدك النَّقابةَ على الأشراف الطالبيِّين أجمعين ، المقيمين بالحضرة وسائر اعمال المملكة شَرْقا وغَرْبا ، وبُعْدا وقُرْبا ؛ ثِقةً بأنَّك تصدِّق مَخيلته فيك واعتقادَه ، وتستدْعى بكفاية ما استكفاك شُكْرَه وإحمادَه ؛ وتستدُّر بالاستقلال والغَنَاء أخلافَ إحسانه وفضلِه ، وتتمرى بالاضطلاع بُمضْلِع الأثقال فائضَ امتنانِه وطَوْله .

فتقلَّد ما قلَّدك أمير المؤمنين عاملاً بتقوى الله وطاعته ، مستشْعِراً لخيفته ومراقبته ؛ وأحسنْ رعايةَ من عَدَق بك رعايتَه ، وسياسةَ من وكَلَ إليك سياستَه .

واعلم أنَّ أمير المؤمنين قد مَيَّزك على كافَّة أهل نَسَبك ، وجميع من يُواشِجُك في حَسَبك ؛ وجعلك عليهم رئيسا ولهم سائسا ؛ فاعْرِف لهم حقَّ القرابة والمشابكَة ، وتَشاجُر الأنساب واشْاركة ؛ فإن الله تعالى يقول : (قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عليْه أَجراً إلاَّ المَوَدَّةَ في القُرْبى) . وعُمَّهم جميعا بالتوقير والإكرام ، والتفقُّد والاهتمام ؛ واتَّخِذْ شيْخَهم أبا ، وكَهْلَهم أخا ، وطِفْلَهم ولدا ؛ وافْرِض لهم من الحَنَان ، والإشفاق والفَضْل والإحسان ، ما تقتضيه الرَّحِم الدانيه ، والأواصِرُ المُتقاربة ؛ وكُنْ مع ذلك متفقِّداً لأحوالهم ، مطالِعا لِسيَرهم وأفعالهم ؛ فمن ألْفَيته سالكاً

لأقصد الطرائق ، متخلّقا بأجمل الخلائق ؛ حارساً لشرفه ، متشبّها بسلفه ، فزده في الأثرة زيادةً تُرغّب أمثاله في اقتفاء مذهبه ، وتبعثه على التأدّب بأدبه ؛ ومن وجدته مستحسناً مالا يليق بصريح عرقه ، راكبا ما ليس من طُرقه ، فأيقظه بنافع الوعظ ، وذكّره بناجع اللفظ ؛ فإن استقام على الطريقة المُثلى ، ورجع إلى الأجدر والأولى ، عرفتَ ذلك من فعله ، وفرضتَ له ما تفرضه لصُلحاء أهله : فإن الله تعالى قد فتح باب التوبه ، ووعدَ بإقالة أهل الإنابة ، ومَن انحرفَ عن التذكير ، وانصرف عن التبصير ؛ وأصرَّ وتمادى ، وارتكب ما يُوجب حدًّا ؛ امتثلتَ أمر الله تعالى فيه ، وأقمتَ الحدّ عليه ؛ غير مُصْغٍ الى شفاعه ، ولا مُوجب لحقّ ذريعه : فإن أمير المؤمنين يصِل من ذوي أنسابه ، من وكدّها بأسبابه ؛ ويقطع من أوجب الحقُّ قطيعتَه ، ولا يراعي رحِمَه وقرابتَه . ووكّلْ بهم من يَروي إليك أخبارَهم ، ويكشفُ لك آثارَهم : ليعلموا أنهم ببال من مطالعتك ، وبعينٍ من اهتمامك ومشارفتك ؛ فيكبُح ذلك جامحهم عن العثار والسقَط ، ويمنع طامحهم من الزلَل والغلَط . وتوخّهم في خطابك بالإكرام . وميزّهم عن محاورة العوام ؛ ولا تقابِلْ أحدا منهم ببَذاء ولا سَبّ ، ولا قدْح في أمٍّ ولا أب ؛ فإنهم فروعُ دوحةِ أمير المؤمنين وعترتُه الذين طهّرهم الله من الأرجاس ، وفرَضَ قِراهم على الناس . ووفّر اهتمامَك على صيانةِ النسَب من الوكْس ، وحياطته من اللبْس ؛ فإنه نسبُ الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتصل يومَ انقطاع الأنساب ، وسببُه الذي يتشج يومَ انفراط الأسباب ؛ وأثبِتْ أسماءَ كافّةِ من يعتزي إلى هذا البيت منسوبةً إلى أصولها : لتأمن من دَخيل مُلصَقٍ يتزوّر عليها ، ومختلِق مُلحَق ينضم إليها . وإن عرف مدّعٍ نسباً لا حجة له فيه ، ولا بينةَ عندَه عليه ؛ فغلّظ له العقاب ، واشْهَره شُهرة تحجزُه عن معاودة الكذاب ؛ واحتَطْ في أمر المناكح وصُنها عن العوامّ ،

ووَقِّر كرائم أهل البيتِ عن مُلابسة اللِّئام ؛ وإن ادّعى أحدٌ من الرعيّة حقاً على شريف فاحملْها على السويّة وعِده بإنصاف خصمِه ، وامنَعْه من ظُلْمه ، وإن ثَبَتَ أيضا في مجلس الحُكْم حقٌ على احد من الأشراف فانزِعْه منه [وول (١٢)] على من في البلاد ، أهل السَّداد منهم والرَّشاد ؛ ومُرْهم بتقبُّل مذهبك ، ونَقْل أدبك ؛ واصرِف اهتمامَك إلى حِفظ اوقافهم وأملاكهم ومستَغَلاّتهم في سائر الأعمال ، وحُطْها من العَفَاء والاضْمِحلال ؛ وتَوَفَّر على تثمير ارتفاعها . وتزْجية مالها ؛ واستخدِمْ لضبط حاصلِها ، وجهات مُنْفَقها ، من تسْكُن إلى ثقته ، وتثِق بنهْضتِه ؛ ووَزِّع ما يرتفع من استغلالها بينَهم على رُتَبِهم التي يشهد بها ديوانهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فانتهِ إليه منتهجا لتمثيله ؛ معتمِدا بدليله ؛ وطالعْ أمير المؤمنين بما التبسَ عليك وأبْهم ، وأشكَلَ واستعْجم : ليَقِفك على واضِح السَّنَن ، ويُرشِدك إلى أحسن السُّنَن ؛ واستعِنْ بالله يهدِك لمعونته ، واستهدِه يؤيدْك بهدايته ؛ إن شاء الله تعالى .

* ★ *

ومنها — ما أورده في رسم تقليدٍ بزَمِّ طوائف الرجال .

الحمدُ لله البديعِ تقديرُه ، الحكيم تدبيرُه ؛ الذي أتْقن ما صَنَع وأحْكمه ، وكملَّ ما أبدع وتَمّمه ؛ وأعطى كلَّ مصلحة من مصالح عِباده نِظاما ، وكُلَّ مَرْفَق من مرافق خلقه قِوَاما ؛ فلا يُقارب فيما خَلَقَ وصوّر ، ولا يُشاكَل فيما قدّر ودبّر ؛ ورأبَ ثَلْم بريّته بمن استخلصه من خاصّتها ، لسياسة عامّتها ؛ وانتخبه من أشْرافها ، لتسديد أطْرافها ؛ وإقامة من سادَها لإصلاح فاسِدها ، وتقويم مائِدها ؛ وتوقيفِها على سَنَن الصواب ، وتعريفها بمَحاسِن الآداب .

(١٢) الزيادة ليستقيم الكلام .

يحمده أمير المؤمنين أن أحلّه في المنزلة العليّة : من اصطفائه واستخلاصه ، والذّروة السنيّة : من اجتبائه واختصاصه ؛ وفوّض إليه تنزيلَ الرتب وتَخْويلها ، وإقرارَ المنازل وتحويلَها ؛ وناط به البَرْم والنقض ، والرَّفْع والخَفْض ، والرَّيْش والحصّ ، والزيادَة والنَّقْص ؛ وسوّغَه الشُّكرَ على مواهبه السابغ عِطافُها ، الفسيحة أكنافُها ، البعيدة أطرافُها ، و[يسأله] أن يصلي على نبيِّ الرحمة ، ومُفيد الحكمه ، سيدنا محمد خاتَم الرُّسُل ، وموُضّح السُّبُل ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابنِ عمِّه ، وخليفته على أُمَّته وقَومه : عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، ومَوْلى المسلمين ؛ وعلى الأئمة من ذُرّيتهما الطاهرين .

وإنّ أمير المؤمنين بما فوّضَهُ الله تعالى إليه من حِمَاية الأنَام ، والمُراماةِ عن دار الإسلام ؛ وكَفَّله من غَضِّ نواظر أهل العِناد ، وتنكيس رُؤس رؤساء الإلحاد ؛ لايزال ينظُر في مصالح عبيده ، وتَوَفُّر سياسة رجال دولته وجنوده ؛ الذين هم حِزْبُ الله الغالبُون ، وجندُه المنصورُون ؛ ويُردُّ النظرَ في أمورهم ، والتقدّمَ عليهم ؛ وزَمْ طوائفهم ، إلى خواصِّ دولته ، وأعيان مملكته ، الذين بَلاَ طرائقَهم ، وحَمِد خلائقَهم : من الغَناءِ والكِفاية ، والسَّداد وحُسْن السياسة ؛ ونَقَّلهم في الخِدم فاستقلُّوا بأعبائها وأثقالها . ونهضُوا بناهض أعمالها ، ومضتْ عزائمُهم في حِياطة البيضة ، واشْتدت صرائمهم في تحصين الحَوْزة ، وصدَقتْ نيّاتهم في المُراماة عن الملّه ، والمحاماة عن الدعوة والدَّوْلة .

ولمّا كنتَ بحضرة أمير المؤمنين مُعَدّا لمهمّاته ، معدوداً في اماثِل كُفَاته ، مشهوراً بحسن السياسة لما تُورِده وتُصدِرُه ، معروفا بفضل السِّيرة فيما تأتيه وتَذره — رأى أمير المؤمنين — والله يُرشده لأعْوَدِ الآراء بالصلاح والإصلاح ، وأدناها من الخير والنجاح — أنْ قَلّدك زَمَامَ طائفة

الرجال الفلانيين (ويوصفون بما تقتضيه مكانتهم من الدولة وحسن سيرهم في الخدمة) إنافةً بقَدْرك ، وإبانةً عن خَطَرك ، وتنويهًا بذكْرك ، وتفخيماً لأمرك .

وهو يأمُرُك بتقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعارِ مراقبته ، ورياضةِ خلائقك على محبَّة العَدْل ، وإيثار الفَضْل ؛ واتِّباع اللُّطْف ، واجتناب العَسْف ؛ وتوخِّى الإنصاف ، وبَسْط الهيبةِ من غير إجْحاف ؛ وأن تخُصَّ هذه الطائفةَ من النظر في أمورها ، وتعهُّد صغيرها وكبيرِها ، بما يُسَدِّد أحوالها ، ويحقِّقُ آمالها ؛ وتأخُذَها بأحسَن الآداب اللائقة بأمثالها ، وسُلوك الطريقةِ المعهودة من أعيانها وآماثِلِها ؛ وتُشْعرها من أمير المؤمنين بما يشرَحُ صَدْرَها في خدمته ، ويُقِرّ عينها في طاعته ، والمسارعة إلى مكافحة أعدائه ، والتَّميزِ في نُصْرة أوليائه ، وتُطالَع بحال من يستحقُّ الاحترام ، ويستوجبُ إفاضةَ الإنعام ، وتكتبَ الرِّقاع عنها (مستدْعِيا للرِّباطات ، في الأطماع والعاجزين شاملا في التعويد والتأمير والتلقيب والولايات قاصدا في ذلك ما يُفَسِّح آمالها في الآجال ، ويُوثِّقُها بدُرُور الأمثال) (١٣) ؛ فإنهم أمراءُ الحُروب ، وكُفَاة الخطوب ، الذين يجاهِدُون عن الحَوْزة ، ويُرامُون عن الدولة ؛ وافْرِض لهم من الإكرام ، وتامِّ الاهتمام ؛ ماتقتضيه مَكانَتُهم في الدولة ، وموْضعهم من الخِدْمة ، وتكفَّلْ اوساطَهم بالرِّعاية ، واصْرِف إليهم شَطْرا موفوراً من العِناية ؛ والحِقْ من بَرَز منهم وتقدّم ، ونَهَض وخَدَم ، بنظرائه وأمثاله ، وساوِ بينه وبينَ أشكاله ؛ وتعهَّد أطرافهم بملاحَظتك ، وتفقَّدْهم بسياستِك ؛ وخُذْهم بلُزُوم السِّيَرِ الحميدة ، والمذاهب السَّديدة ؛ والتوفُّر على مايُرْهف عزائمهم ويؤيِّد أيدِيَهم ؛ ولا تُفَسِّح لأحد من هذه المذاهب في مخالطة العَوَام ولا مشاركةِ

(١٣) كذا في النسخ ولم نهتد الى المراد منها .

التُّجَّار والاحْتراف ، ووكِّلْ بهم من النُّقباء من يَبْتلي سيرَهم ، ويُنْهي إليك أخبارَهم ؛ فمن علمته قد اجْترأ إلى نَسْخ المَذْهب ، فتناوَلْه بأليم الأَدَب ؛ واحْضُضْهم على الأدْمان في نَقْل السلاح ، والضَّرْب بالسيف ، والمطاعنة بالرمح ، والإرْماء عن القَوْس ؛ وميِّزْ من مَهَر واستقَل ، وقَصِّر بمن ضَجَّع وأخَلّ ؛ فهم كالجَوارح التي ينفعها التعليم والإجراء ، ويضُرُّها الإهمالُ والإبْقاء ؛ وفي صرفك الاهتمامَ إليهم ما يزيدُ في رَغْبةِ ذى الهمَّة العليَّة ، ويبعَثُ المعروفَ في النفس الدَّنيَّه ، وأن تُطالبَهم بالاستعداد ، وارتباط الخُيُول الجياد ؛ والاستكثارِ من السِّلاح الشاك والجُنَن . ولْيَكُنْ ما تُطالبهم بإعداده من هذه الأصناف على حَسَب الفُروض من العَطَاء . ولا تُرَخِّص لأحد في الاقْتناع بما لا يليقُ بمنْزِلته والرضا بما يقَع دُون ما يعتَدُّه أماثِلُ طَبقته . ومَنْ مات من هذه الطائفة وخلَّف ولدا يتيماً فضُمَّه إلى أمثاله ، وانظُرْ في حاله ؛ ووَكِّل به من يفَقِّهه في دينه ، ويعلِّمُه مالا غِنى به عن تَعْليمه من كتاب الله وسُنَّته ، ومَنْ يهذبه في الخدمة ويعلِّمه العملَ بآلاتها ، والتنقُّلَ في حالاتها ؛ ويطْلَقُ له من إنعام أمير ما يقُوم بكُلْفتها ولوازمِها ، وخُذْ كلَّ من تُقَدِّمهم بخدمها والجَرْى على عادتها في النُّهوض بما يُسْتَنْهض به ، ولا يُفَسَّح لها في التَّثاقُل عنه ؛ وسوِّ بينَهم في الاستخدام ، ولا تخُصَّ قوماً دون قوم بالترفيه والإجمام ؛ فإنَّ في ذلك إرهافاً لعزائمهم ، وتقويةً لمُنَنِهم ، وإفاضة العدل عليهم .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، قد وَكَّد به الحجة عليك ؛ فتأمَّلْه ناظرا ، وراجعه متدَبِّرا ؛ وانتَهِ إلى مَصَايِره ومَراشِده ، واعمل على رُسُومه وحدُوده ، يُوفقِ الله مقاصِدَك ، ويُسْعِد مَصالحِك ويتولاك ، إنشاء الله تعالى .

ورُسوم هذه العهود يتفاضلُ الخطابُ فيها بحسب تَفاضُل الطوائف ومَن يولى عليها . وهذا الأنْموذج متوسِّط تُمْكن الزيادةُ عليه والنقصُ منه .

* ★ *

ومنها – ما اورده في رسم تقليد بإمارة الحج ، وهذه نسخته :

الحمدُ لله الذي طهرَّ بيته من الأرْجاس ، وجعلَهُ مَثَابةً للناس ، وآمَنَ مَنْ حله ونَزَله ، وأَوْجبَ أجرَ من هاجر إليه ووصَلَه .

يحمدُه أمير المؤمنين أن خَصَّه بحيازة البيتِ الأعظَم ، والحِجْر المكَرَّم ، والحَطِيم وزَمْزَم ؛ وأفضى اليه ميراثَ النبوّة والإمامة ، وتراثَ الخلافة والزَّعامة ، وجعله لفَرْضه موَفِّيا ، ولحقوقه مؤدِّيا ؛ ولحُدُوده حافظا ، ولشَرائعه ملاحِظا ؛ ويسألُه أن يصَلِّيَ على مَنْ أمره بالتأذينِ في الناسِ بالحَجّ إلى بيته الحرام لشهادةِ مَنافِعِهم ، وتأديةِ مناسكهم ؛ وقَضاءِ تَفَثِهم ، ووَفَاء نَذْرهم ،وذِكْر خالقِهم ؛ والطواف بحرَمه ، والشكر على نَعِمه : سيدنا محمدٍ رسوله صلى الله عليه وعلى وصيه وخليفتِه ، وباب مدينة علمِه وحكمتِه : عليِّ بن أبي طالب سيد الوَصيِّين ، وعلى الأئمةِ من ذرّيتهما الطاهرين .

وإنَّ اولى ما صَرَف أمير المؤمنين إليه هِمَّته ، ووَفَّر عليه رِعايَتَه ؛ مُثابرا عليه ، وناهضاً لحق الله تعالى فيه ، النظرُ في أمر رُفَق الحجيج الشاخصة إلى بيتِ الله الحرام ، وزيارةِ قَبْر نبيه عليه أفضلُ الصلاة والسلام ، وردُّه إلى من حلَّ محلَّك من الدين ، وتميز بما تميزَّ به صُلَحاء المسلمين : من العلم ، ورَجَاحة الحِلْم ، ونَفَاذِ البصيرة ، وحُسْن السريرة ، وعَدْل السِّيرة ؛ ولذلك رأى أمير المؤمنين أنْ قلَّدك أمرَ رُفَق الحَجيج المتوجِّهة من موضع كذا إلى الحرمين المحروسين ، ووَلاَّك الحرب والأحْداثَ بها : واثقاً باستقلالك وغَنَائك ، وسَدَادك وإصابة أَرَائك ، فتقلَّد ما قلَّدك أميرُ المؤمنين بعَزمٍ ثاقب ، ورأيٍ صائب ؛ وهِمَّة ماضيه ، ونَفْس سامية ؛ وشَمِّر فيه تشميراً يُعْرِب عن مَحَلِّك من الاضْطِلاع ، ويدُلُّ على استقلالك بحقِّ الاصْطِناع ، وخُصَّ الحجَّاج بأَتَمِّ الأحْظِّ ، وكُنْ من أمرهم على

تَيقُّظ ؛ واعتمِدْ تَرقُّبهم في المَسير . وسوِّ في رعايتهم بين الصغير والكبير ؛ فإنهم جميعاً إلى الله متوجِّهون . وإلى بيته الحرام قاصدُون . وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وافِدُون ؛ قد استقرّ بُوا بَعيدَ الشُّقَّة ، واستَدْمثُوا خَشِن المَشَقَّة ، رغبةً في ثواب الله وعَفْوه ، والنجاة من عِقابه وسَطْوه وتقرُّبا إليه بِارتسام أمْره وطاعته ، وإيجابا للحرمة بالحلُول في عِرَاص بيته وأفْنِيته ؛ فُمرافدَتُهم اجبه ، ومساعدَتُهم لازِبه ؛ حتى يصلُوا إلى بغُيْتهم وقد شَمِلتهم السلامةُ في الأنفس والاموال . والامنةُ في الخيلْ والرجال : متوجِّهين وقارّين وقافلين ، بعد أن يشْهَدُوا منافِعَهم ، ويؤُدُّوا مَناسِكهم ، ويعملُوا بما حُدّ لهم . وردُّهم في سَيْرهم عن الازدحام ، ورتِّبهم على الانتظام ؛ ورَاعِهم في وُرُود المَنَاهل ، وامنَعْهم من التحادُث عليها والكاثُر فيها ح حتى لا ينفصلُوا منها إلاّ بعدَ الارتواء ، ووُقوع التَّساوي والاكتفاء ؛ وقَدِّم أمامَهُم من يمنَعُهم من التسرُّع ، وأخِّرْ وراءهم من يحفظهم من التقَطُّع ؛ ورتِّب ساقَتَهم . ولا تُخلِّ بحفظهم من جميع جهاتِهم ؛ وطالِعْ أمير المؤمنين في كل منْزِل تنزِلُه ومحلٍّ تحلُّه بحقيقة أمرك ليقِفَ عليها . ويُمدَّك بما يُنْهِضك فيها .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك فتدبَّره عاملاً عليه ؛ متبصِّراً بما فيه ، عاملاً بما يحسُن موقِعُه لك . ويزيدك من رضا الله وثوابه ، إن شاء الله تعالى .

* ★ *

ومنها — ما اورده في رسم تقليد الإمارة على الجهاد ، وهذه نسخته :

الحمد لله الصادقِ وعْدُه ، الغالب جُنْدُه ؛ ناصر الحق ومُدِيله ، وخاذِل الباطل ومُذِيله ؛ مُحِلِّ النَّكْب بمن انصرف عن سبيله ، ومُنْزِلِ العِقاب بمن تحرَّف عن دليله ؛ الذي اختار دين الإسلام فأعلى مَنارَه ، ووَضحَ أنواره ؛ واستخلَص له من أوليائه اعضادا لا تأخُذُهم في الحق

لومةُ لائمٍ ، ولا يُغْمِضون عن المكافَحة دُونَه جَفْنَ حالم ؛ وجزَاهم على سعْيِهم في نُصْرته جزاءً فيه يُنافَسُ المتنافِسُون ، وإلى غاياته يَرْتمى بالهِمَم المُجِدّون ؛ قصداً من الله تعالى في إعزاز دينه ، وانجازِ ما وعَد به خُلفاءَه من إظهاره وتمكينه ؛ وقَطْعًا لشَوكة أهل العِناد ، وتَعْفِيةً لآثار ذَوِي الفساد ؛ وتوفيراً لأَحَاظي من بَذَل الاجتهاد من سُعَداء عبادِه في الجِهاد .

يحمدُه أمير المؤمنين أنِ اختصَّه بلطيف الصُّنْع فيما استرْعاه، ووفَّقه للعمل بما يُرْضِيه فيما وَلاه ؛ وأعانه على المُراعاة عن دارِ المسلمين ، والمحاماةِ ذِمَار الدِّين ؛ ومجاهدة [مَنْ] ندَّعنهما صادفا ، ونَكَب عن سبيلهما مُنْصرِفا ؛ وإبادةِ من عَنَد عن طاعته واتخذ معه إلها آخرَ لا إلهَ إلا هو سبحانه وتعالى عما يقُول المُشْركون عُلُوّا كبيرا ؛ واستِنْزالهم من صَيَاصِيهم قَهْرا واقتْسارا ، وإخراجِهم عن بُيوتِهم عِزًّا واقْتِدرا ؛ وإذاقتِهم وَبَالَ أمرهم [و] عاقبةَ كُفْرهم ، اتِّباعا لقول الله تعالى إذ يقول : (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أَنَّ الله مع المُتَّقِين) .

ويسأله أن يصَلِّيَ على أشْهر الخلقْ نُورا وفضلا ، وأطْهر البريةِ فَرْعا وأصلا ؛ وارشد الأنبياء دَلِيلاوأقصدِ الرُّسُل سبيلا : محمدٍ رسولِه الذي ابتعثه وقد توَعَّر طريقُ الحق عافيا ، وتَغَوّر نُورُ الهدى خافيا ؛ والناسُ يتَسَكَّعُون في حَنَادِس الغَمَرات ، ويتورّطُون في مَهاوى الهَلَكات ؛ لا يعْرِفُون أنهم ضُلاَّل فيستَهْدُون ، ولا عُمْى فيستَبْصِرون ؛ فأيَّده وعضَّده ، ووفَّقه وسَدّده ؛ ونَصَره وأظهَره ، وأعانه وآزَرَه ؛ وانتخب له من صَفْوة خلْقِه ، أوْلياء كاتَفُوه على ظُهور حقِّه ، سَمَحُوا بالأنفس العَزيزة ، والأموال الحَرِيزة ؛ وجاهدُوا معه بايدٍ باسطةٍ ماضية ، وعزائمَ متكافية متوافية ؛ وقلوبٍ على الكفار قَسِيَّة قاسية ، وعلى المؤمنين رؤُفة

جانبيَةْ . فلَما صدَقُوا ما عاهَدُوا الله عليه ، وارتسمُوا أمْره وانتَهَوْا إليه ، شَرَكهم معه الوصْف والثناء وأضافَهُم إليه في المَدْح والإطراء ؛ فقال جل قائلا : (مُحَمدٌ رَسُولُ الله والذَّينَ معَهُ اشدّاءُ على الكُفَّار رُحماءُ بَيْنَهُم) . صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سيف الله الفاصل ، وسِنَانه العامل ؛ ومُعْجِز رُسُوله الباهر ، ووزيرِه المُظاهِر ؛ مُبِيد الشُّجْعان . ومُبِير الأقران ؛ ومُقَطِّر الفُرْسان ، ومُكَسِّر الصلبان ؛ ومَنكِّس الأوْثان ، ومُعِزّ الإيمان ، الذي سبَقَ الناسَ إلى الإسلام ، وتقدّمَهم في الصَّلاة والصِّيام ؛ وعلى الأئمة من ذرّيتِهما المَيَامين البَرَرة الطاهِرين ، وسلَّم تسليما .

وإنَّ أمير المؤمنين بما كلَّفه الله تعالى من [أمر] دِينه ، ووَعَده من إظهاره وتمكينه ؛ يرى أنَّ أفضل مارَنَا إليه ببصَر بَصيرته ؛ ورمى نَحْوه بطامِحِ همتِّه . ما شَمِلت الدينَ والدنيا بركتُه ، وعمَّت الإسلامَ والمسلمين عائدتُه ؛ وحلَّ مَحلَّ الغيث إذا تدَفَّق وهَمع . والنهارِ إذا تألَّق ولمَعَ . ولا شيء أعودُ على الأُمة . وأدْعى إلى سُبُوغ النِّعمة ، من عُلُوّ كلمتِهم ، وارتفاعِ رايتِهم ؛ وتحصين حَوْزتِهم . وإيمان مَنَصَّتهم ؛ وتأدية الفريضة في مجاهدةِ أعدائهم . وصَرْفهم عن غُلَوائهم ، واقتيادِهم بالإذلال والصَّغَار ، وكَبْحهم بشَكائم الإهوان والاقْتِسار ، ومواصلتهم بغَزْو الديار ، ونَعْفية الآثار ؛ وإيداع الرُّعْب في صُدُورهم ، وتكذيب أماني غُرُورهم ؛ ووَعْظهم بألسنة القواضب . ومكاتَبتِهم على أيدي الكَتَائب : لما في ذلك من ذُلِّ الشِّرك وثُبُوره . وعِزّ التوحيد وظُهوره ، ووُضُوح حجَّة أولياء الله تعالى على اعدائه بما يُنْزِله عليهم من نَصْره ومَعُونته ، ويؤيِّدهم به من تأييده وعِنَايته ؛ لا جَرَم أن أمير المؤمنين مصْرُوف العَزْمة ، موقُوفُ الهِمَّة ، على تنفيذ البُعُوث والسَّرايا . والمواصلة بالجُيوش والعَرَايا ؛ وتجهيزِ المرتزِقة من اولياء الدولة ، وحَضِّ المُطَوِّعة من أهْل المله ، على

ما أمر الله تعالى به من غزْو المشركين ، وجهاد المُلْحدين ، نافذاً في ذلك بنفسه ، وباذلا فيه عزيزَ مُهْتجه ، عند تَسهُّل السبُل إلى البعْثة ، ووجود الفُسْحة ؛ ومعوّلا فيه عند التعذُّر على أهل الشَّجاعة والرَّجاحة من أعيان أهل الإسلام الذين أيْقَنَتْ ضمائرهم . وخلصتْ بصائرهم ، ورغبُوا في عاجل الذكر الجميل ، وآجل الأَجْر الجزيل ، وأميرُ المؤمنين يسأل الله تعالى أن يُجْريه فيما يُصْدِر ويورِد ، على أفضل ما لم يزَلْ يُولى ويُعَوّد : من التوفيق في رأيه وعزْمه ، والتسديد في تدبيره وحزْمه ، ويؤتيه من ذلك أفضَلَ ما آتاه ولياً استخْلَفه . وأميناً كفَّله عبادَه وكَلَّفه ، وما توفيقُ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكَّلُ وإليه يُنيب .

ولما كنتَ بحضرة أمير المؤمنين ممن يُعِدّه لجلائل مهمَّاته . ويَعُدُّه من أعيان كُفَاته ؛ ورآه سِدادا للخَلَل . وعِماداً في الحادث الجلَل ؛ وسَهْما في كنانته صائبا . وشِهابا في سماءِ دولته ثاقبا ، وسيْفا بيَد الدين قاطعا ، ومِجَنّاً عن الحَوْزة دافعا - رأى - وبالله التوفيق - أن يُقدِّمك على جيُوش المسلمين . وبُعوثِهم الشاخصة إلى جهاد المشركين ، فقلَّدك الحَرْب والأحْداث بها . وعقَد لك لواءً بيده يَلْوِي إليك الأعناق ، ويُنكِّس لك رُؤس أهل الشِّقاق ؛ وشرفَكَ بفاخر مَلابسه وحُمَّلانه ، وضاعفَ لدَيْك مَوَادَّ إحسانه ، وحبَاك بطوْقٍ من التَّبْر ، مرَصَّع بفاخر الدُّرّ ، عادقاً هذه الخدمةَ منك بالنَّصيح المأمون ، والنَّجيح الميْمُون؛الذي تتوضَّح فيه أنوار اللَّبابة . وتلُوحُ عليه آثارُ النَّجابه واثقاً بما تَنْطوي عليه من الإخلاص والوِلاَية ، وتتحلى به من الغَناء والكِفَاية ، ويفترَضه من الاستمرار على سَنَن الطاعة ، والاستقامةِ على سَمْتِ الانقياد والتَّباعه ؛ وتُوجيه من مناصحة المسلمين ، والتشميرِ في نُصْرة الدين .

فتقلَّدْ ما قلَّدك أميرُ المؤمنين مستشعراً تقْوى الله وطاعتَه في الإسرارِ والإعلان . معتقِداً خِيفتَه ومراقَبتَه في الإظْهار والإبْطان ؛ مخلِصَ

القلب ، رابط اللُّبّ ؛ واثقا بنصر الله الذي يُسْبغه على خُلَصائه، ويُفْرِغه على أوليائه ؛ آخذاً بوَثَائق الحزم ، متمسِّكا بعلائق العَزْم ؛ ناظراً من وراء العَوَاقب ، متفرِّسا في وُجُوه التجارب ؛ مقلِّصا سُجُوف الآراء بإضْفَاء غِيَار التدبير ، مُمِراً مرائر التقرير ؛ مُوغِلا في المخَاتَل والمكايد ، حارساً للمطالع والمَرَاصد ؛ يَقْظَانَ النفْس والناظر ، متحرِّزاً في موقف الواني والمُخَاطِر . وأن تتوجه على بركة الله وعوْنه وحسن توفيقه ، ويُمْن تأييده ؛ بعد أن تتسلَّم من الجُيوش المنصورة جرائد بعدّة رجال أمير المؤمنين السائرين تحتَ رايتك ، المنُوطين بسياستك ؛ وتَعْرِضهمُ عليها ، فتتخيَّرُ من شُهِرت بسَالتُه وكِفَاحه ، وعتقَ جِيَادُه وكَمُل سلاحه ؛ وعُرِف بصِدْق العزيمة في مُقارَعة الأعداء ، وحُسْن الطويَّة في الإخلاص والوَلاَء ؛ وتستَبْدِلُ بالوَرَعَ الجبَان ، والرِّعديد الضعيف الجَنَان ؛ الناقص العدة المقَصِّر النَّجْدة ؛ المدخُول النيَّة ، النَّغل(١٤) الطَّوِيَّة ؛ فإذا كملَتِ العِدّة من أهل الجلَد والشَّهامة ، وأُولى الحَمَاسة والصَّرامة ؛ استدعَيْت من بيت المال ما يُنْفَق فيهم من مستَحَق أطماعهم ، ومَعُونة طريقهم ؛ وأجريتَ النفقةَ فيهم على أيدي عارِضيهم وكُتَّابهم ؛ فإذا أزحْتَ عللَهم فاستصْحِبْ من العُدَد والسِّلاح والخيَم والأزواد والأموال ما يُرْهِبُ الأعداء ، ويُنْهِض الأوْلياء ؛ وأَذِّنْ في مُطَوِّعة المسلمين ، بجِهاد المُشْركين ؛ في [كل] بَلْدة تنْزِلها ، ومَحَلَّة تحلُّها ، وابذُلْ لهم الظَّهرْ والميرة والمعُونة بالسلاح وما يستَدْعونه ؛ وأرْهِفْ عزَائمَهم في غزو الكُفَّار ، وإجلائهم عن الأوطان والدِّيار ؛ واسلُكْ الطريقَ القاصِد ، ولا تُفارِقْ أهلَ المناهل والمَوَارد ، ولا تُغِذَّ السيرَ إغْذاذا تنقطِعُ له الرجال وتتأخَّرْ به الأَزْواد ، ولا تتلَوم في المَنَازِل تَلوُّما تتصرَّم فيه الآماد ؛ ويُوجدُ المشركين مهُلة للاحتيال والاستعْداد ؛ وراع جَيْشَك عند الحَلِّ والتَّرْحال ،

(١٤) في الأصول المهروق الطوية ولم نجد هذه المادة .

ولا تُبَاعِدْ بين مَضارِبهم إذا نزلوا . ولا تمكِّنْهم من التفرُّد إذا ارتحلُوا ؛ وخُذْهم بالاجتماع والالتئام ، والتآلُف والانتظام ؛ ولاسيمَّا إذا حصَلُوا في ارض العَدُوّ فإنَّهم ربَّما اهْتَبَلُوا (١٥) الفرْصة في المَسير المتسرِّع ، والمَبِيت المتفرِّد ، ونالوا منه ماتُوسَّم به المضيمةُ على إهل الإسلام ، والعياذ بالله .

وإذا دانيتَ القومَ فأعِط الحَزَامَةَ حقَّها ، مستعملا نارةً للدَّهاء والخِدَاع ، وأخرى للِّقاء والقِراع ؛ فربما أغنَت المُساتَرة ، عن المُكاشَرة ؛ ونابتْ مَخايِل التَّلَطُّف ، عن مَدَاخل التعسُّف ؛ وكفتْ غوائِلُ المخادَعة ، عن مَواقف المماصَعَة ؛ وقد قال إمامُ الحرب ؛ وزعيمُ الطَّعْن والضَّرب : « الحَرْبُ خَدْعة » .

وإذا عزمتَ على المصَاع والمُنافحة ، والإيقاع والمُكَافحة ، فُبثَّ من سَرَعان الفُرْسان الذين لا تشُكُّ في محض نُصْحهم . ولا ترتابُ بِصدْق نِيَّاتهم . طلائعَ تُطْلِعك على الأخبار . وعيوناً تَكْشِف لك حقائقَ الآثار ، وتَغُضُّ الطَّرْف عن مجاوري الديار ؛ ومُرْ مَنْ تقدِّمه عليهم بأن لا يقْتحم خَطَرا ، ولا يرْكَب غَرَرا ؛ وليكُنْ مَنْ تُنْفذه في ذلك [من] أهل الخبْرة بالطُّرُق والساحات . والدخلات والأودية والفَجَوات ؛ حتى لا يتِمَّ للعدُوّ فيهم حِيله . ولا يناهم منه غِيله ؛ فإذا أتَوْك بالخبَر اليقين ، وأقبَسُوك قَبَس النُّور المبين ؛ بدأتَ الحرب مستخيراً لله تعالى ، مقدِّمًا أمامَكَ الاستنْجاح به ؛ واستنزال النصر من عنده ، مرتِّبا للكتائب ، معبياً للصُّفوف والمَقَانب ؛ زاحفاً بالراجل مَحَّصنا بالفارس والرامي مْجتنًّا بالتارس ؛ واشْحَن القلبَ والجناحين بالشُّجعان المستبقين ، والأبطال الحلاسين ؛ وأنْزِل إلى رحى الحَرْب مَنْ خفَّ ركابُه من الأنجادِ الراغبين

(١٥) أي اغتنموا الفرصة الخ .

في عُلُوّ الصِّيت والذكر ، الطالبينَ الفوزَ بالثواب والأجْر ؛ واجعل وراءهم رِدْءا ، وأعدّهم مَدَدا يُوازرونهم إن يجئهم مالا يطيقونه ويَحِين (؟) ، ويُطايرونهم على ما خلص إليهم وادعين ؛ وقِفْ من التأخير والإقدام ، والنُّفُوذ والإحْجام ، موقفاً تُعْطى الحزامة فيه حَظَّها ، والرويَّة قِسْطها ؛ مصَمِّماً ما كان التصميم أدْنى لانتهاز الفُرْصة ، واهتبال الغِرّة ؛ متلوِّما ما كان التلومُ أحمدَ للعاقبة ، وأسلم للمَغبَّة .

واعلم أنَّ ريح النصر قد تُهبُّ للكافرين على المسلمين ، فلا يكُنْ ذلك قادحا منك في الدِّين . فإن الله تعالى يستَدْرِج بسُنَّة الباطل لابسُنَّة الإظفار ، ويُرِيهم الإقْدار في مَخَايِل الأقدار ؛ حتى إذا فَرِحُوا بما أُوتُوا اوردتهم كَواذبُ أمانيِّهم مواردَ الهلَكَة ، وأُخِذُوا بَغْتة ، ودالتْ دولةُ الحق لأوليائها مرفوعة الأعلام ، آخذةً بنَواصي العُداة والأقدام ؛ وتحققْ أن الأمورَ بخواتيمها ، والأعمال بتمامها ؛ وأنه ولى [المؤمنين] . ما جَمَع موقِفٌ فئتَيْ شكٍّ ويَقين ، وكُفْر ودين ؛ إلاّ كان الفَلْج والنصْر لأهل التقى والدّين ، والخسارةُ والبوارُ على الشاكين الكافرين ، تصديقاً لوعده تعالى إذ يقولُ : (ولَقَدْ سَبَقَتْ كَلمتُنَا لِعبادنَا المُرْسَلِينَ إنَّهُمْ لَهُمُ المَنْصُورُون وإنَّ جُنْدنا لَهُمُ الغالبُون) .

وتحفظ بنَفْسك ولا تُلْقِها في المَهَالك متهوّرا ، ولا تَرْم بها في المتالف مخاطراً . ولا تُساعدْها على مطاوعة الحميَّة والنَّخْوه ، وتحرّز — قَبْل السَّقْطة والهَمْوة ، فإنك — وإن كنتَ واحدا من الجيش — أوحَدُهم الذين يتبادَرُون إليه ، ويعتمِدُون في السياسة علية ؛ ومادمتَ محفوظاً ملحوظا فالهيبة عاليَة . والعين سامية ، وإن ألَم بك — والله يعصمُك — خَطْب . أو تالك — والله يكْفِيك — رَيْب . توجَّه الخَلل ، وأُرْهِف حدُّ الوَهْن والشَّلَل . وإن دعتْك نفسُك إلى الجهاد ، وحملك تصرفُك على الكِفاح والجلاد ؛ فليكُنْ ذلك عندَ الإحجام ، توزَلْزُل الأقدام : فإنَّ

ذلك يشحَذ عزائم المسلمين ، ويقوّي شَكائم المتأخّرين ؛ غيرَ مضيِّع للحَذَر ، في الوِرْد والصَّدَر ؛ وكذلك فاحرُس أماثِلَ القُوّاد ، ووجُوه الأجناد ، الذين تُشْفى صدُورُ الكَفَّار بمَصارِعهم ، وتُنْقَع غُلَلُهم بمَضايعهم ؛ وحامِ عنهم حمايةَ الجُفُون عن المُقَل ، وصُنْهم صيانةَ الصَّوارِم من الخلَل ؛ ودافِعْ عن كافة [جند] المسلمين المرتزِقين والمتطوّعين ، فإنَّ الله تعالى قد كافى بينَ دمائهم ، وسوى بين ضُعفائهم وأقويائهم ؛ على أنه سبحانه قد وعدَهم عن بذَل الأنفس في مجاهدة المُلْحدين ، وإبادة المشْرِكين ، الجزاءَ الجسيم ، والنعيمَ المقيم ؛ والبقاءَ الذي لا يعتَوره فَناء ، والجَذَل الذي لا يعترضُه انقضاء .

وقدِّمْ على الأساطيل والمَراكب الحربيَّة وأعمالها ورجال البَحْر من تختاره لذلك من أماثل الأمراء المشهورين بالشِّدّة والنَّجْدة ، والبَصَارة والمَهارة والخِبْرة بشُقَّة البحر والقتال فيه ؛ ومُرْه بالتَّسحيل وملازمة السَّيف والإرساء من الشُّطوط بحيثُ يتأمَّلُ مَضاربَك ، ليكون ما حُمِل عليها من مِيرة وعُدّة قريباً منك ؛ فإنْ نازلتَ ثَغْرا من ثغور الساحل فاملأه بالخيل من بَرِّه ، وبالسفائن من بَحْره ، واستخدِم لحفظ ما فيها من الأزْواد والأسلحة والعُدد والنِّفْط ودُهْن البَلَسان والحِبَال والعَرّادات وغيرها من الآلات مَنْ تَثِق بأمانته ومعرفته . وتقدّمْ إليهم بالحَوْطة على ما يخرجونه من من العَوَاري واسترجاعه بعد الغنى عنه ؛ واستظهِرْ بذلك استظهاراً يُحمَدُ موقِعُه لك ، ويعرَفُ به رَصِينُ رأْيك ؛ وسديدُ مذْهَبك . واستخلِص لمجالستك من أهل الأصالة والحَزْم ، والرَّجاحة والفَهْم ، والدِّراية والعِلْم ، والتجارِب في ممارسة الحُروب ، وملابسة الخُطوب ، من ترجِع إلى رأيه فيما أشْكل ، وتعتمدُ على تجربته فيما أعْضَل ؛ ولا تستبدّ برأيك فإنَّ الاستبدادَ يُعَمِّي المَراشِد ، ويُبْهِم المَقاصد .

ولمَّا كانت الشُّورى لِقاحَ الأفهام ، والكاشفةَ لغَواشي الإبْهام ، أمر الله تعالى بها نبيَّه عليه السلام فقال : (وشَاوِرْهُمْ في الأمْرِ فإذا عزَمْت فتَوكَّلْ على الله إنَّ الله يُحبُّ المتوكِّلين) .

ولا تُشاورْ جبَانا ولا مثبِّطا عن انتهاز الفرصة الممكنة ، ولا متهوِّرا يحملُك على الغِرَّة المُهْلكة ؛ وتأنّ في الآراء فإنَّ التأنِّي يُجِمُّ الألباب ، ويجْلُو وجهَ الصواب . ويقلِّص سُجُوف الارتياب ؛ واضربْ بعضَ الآراء ببعضٍ وسَجِّلْها ، وأجِلْ فكرَكَ فيها وتأمَّلْها ؛ فإذا صرَّحَتْ عن زُبْدتها ، وانشقَّتْ أكمامها عن ثَمَرتها ، فأمضِ صحيحَها ، واعتمد نَجيحها ؛ وإذا استوى بك وبالعدوّ مَرْحى(١٦) الحَرْب فحرِّقْهم بنار الطَّعْن ، وأذِقْهم وبال أمْرِهم ، وعاقبة كُفْرهم ؛ ولا تَرِقَّ لهم ؛ واتبع ماأمر الله تعالى به في الغلْظة عليهم . فإنه يقول : (يايُّها الَّذين آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ ولْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً واعْلَمُوا أنَّ الله مَعَ المُتَّقِينَ) . فإن جنَحُوا للسَّلم والمُوادَعة مصانعين ، فقابل بالقبول ، فإن الله تعالى يقول : (وَإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا وتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) .

وابْذُلِ الأمانَ لمن طلَبه . واعْرِضْه على من لم يَطْلُبه ، وفِ لمن تُعاهده بعَهْده ، واثبُتْ لمن تُعاقده على عَقْده ؛ ولا تجعل ما تُفْرِطه من ذلك ذَرِيعةً ، إلى الخَديعة ، ولا وَسيلة ، إلى الغَيلة : فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (يايُّها الَّذِينَ)مَنُوا أَوْفُوا بالعُقُود) . ورسولهُ صلى الله وسلم يقول : « الناسُ عِندَ شُروطِهِم » وإذا أعانك الله على افتتاح مَعْقِل من مَعاقِل المشركين ، واستضافتَه إلى ما بأيدي المسلمين ، فارفَعِ السيفَ عن قاطِنِيه ، واعتمِد اللُّطْف بالمقيمين فيه ؛ وادعُهم إلى الإسلام ، واتْلُ عليهم

(١٦) أي المكان الذي تدور عليه رحى الحرب .

ما وعد الله به أهلَه من كريم المَقام ؛ فَمنْ أجابك إلى استِشْعار ظِلّه ، والاعتصامِ بحبله ؛ فافْرِض له ما تَفْرِضه لإخْوانك في الدّين ، واضْمُمْ إليهم من علماء المسلمين من يُبصّرهم ويُرشِدهم ، ويُثقّفهم ويسدّدُهم ؛ وخَيِّرْ مَنْ آثر المُقام على دينه بين تأدِيَة الجزية ، والاستعبادِ والمَسْلَكة ؛ فإن أدّوُا الجزيةَ فأجْرِهم مُجْرى أهل الذمّة المعاهَدين ، وخُصّهم من من الرِّعاية بما أُمِر به في الدين ؛ وإن أبَوْا ذلك فإن الله تعالى قد أباح دماءَ رِجالهم ، واستِعبادَ ذراريِّهم ونسائهم ؛ وابتَنِ بالمعَقِل مسجِدا جامعاً يجمّع فيه المسلمين ، ويُخطب على مِنْبره لأمير المؤمنين ؛ وارفَعْ مَنارتَه حتّى تعْلُو على كنائس المشركين ، وانصبْ فيه إماماً يؤدّي الصلاةَ في أوقاتها ، وخطيباً مِصْقَعا يخطُب الناسَ ويعظُهم ، ومكبِّرين يَدْعُون إلى الصلوات ، وينَبِّهُون على حقائق الأوقات ؛ وقُوّاما وخُدّاما يتولَّوْن تنويرَ مَصابيحه ، وتعهُّد تنظيفِه وفُرُشِه ؛ وأطلِقْ لهم من الأرزاق والجِرايات ما يبعَثُهم على ملازمته ويُعينهم على خدمته ، واحتَطْ على من يحصُل في يدِك من أسْرى المشركين ، لِفَدْيَ بهم مَن في قبضتهم من أُسَراء المسلمين ؛ وإذا عرضُوا عليك الفِداءَ فاحذَرْ من خديعة تتُم فيه ، فيه ، أو حيلة تتوجّه في افتكاك معروفٍ منهم بمجهولٍ من أهل الإسلام ؛ وإن كان الله تعالى قد فضّل أدْنياءَ المسلمين على عُظَماء المُلْحِدين . ولم يسوِّ بينهم في دُنْيا ولا آخرة ولا دِين ؛ إلا أنّ هذا مما يوجب الحزْمُ الحَوْطةَ فيه . وإن ظفِرتَ بنَسيب لطاغيتهم المتملِّك عليهم او خَصيص(١٧) به فاحمِلْه إلى حضرة أمير المؤمنين ، ليُقَرِّبها رِهينةً على مَنْ قِبَلهم من المأْسُورين ، وسبيلا إلى انْتزاع ما يبذُلُونه في فِدايته من المَعاقل والحُصُون . وقد أمضى لك أمير المؤمنين أن تعقِدَ الهُدْنة معهم إذا رَغِبُوا فيها على الشرائط

(١٧) اشتهر هذا البناء على الألسنة وفي رسائل الأفاضل ولكن لم نجده في كتب اللغة وإنما الذي فيها بهذا المعنى « فلان مخص بفلان أي خاص به وله به خصية » فتأمل .

التي تُعود بعُلُو كلمة المِلّه ، وتجمُع الخواطِرَ والاستظهارَ للدولة ؛ فعاقِدْهم محتاطا ، واشترط عليهم مُشْطّا ؛ وتحرَّزْ في العقد مما يُوجب تأوُّلا ، ويدخِل وَهْنا ، ويطرُق وَهْيا . وتحفَّظْ بجوَالي المُعاهَدين والأموال المقْبُوضة في بداء الغَلاّت والغنائم وسَبْب المشركين حتى يُحْمل ذلك إلى بيت مالِ المسلمين ؛ فينظُرَ أمير المؤمنين في تفريقه على مستحقّه ، وإيصاله إلى مستوْجبه ؛ وافحَصْ عن أحوال المستأمنين إليك تفحُّصا يكشِف ضمائرَهم ويبلُو سرائرَهم ؛ وتحرّزْ تحرُّزا يؤمِّنُك مكايدَهم وحِيَلَهم ، وخدائعَهم وغِيَلهم ؛ وإذا نازلتَ حِصْنا من حصُون الكفار ، فكن على يقَظة من مَخاتِلهم في الليل والنهار ؛ وانصِبِ الحَرَس والأرصاد ، واحذَرِ الغِرّة ولا تُهْمِل الاعتداد : لتعرّف اعداء الله أن طَرْفك ساهِد ، وجَنانَك راصِد ؛ وتفقَّدْ أمر الجيش وأزِحْ علّة من ترقُبُه في الأطماع والواكِدات ، ومُطَوَّعته في المَعاون والجِرايات ؛ ولا تغْفُلْ عنهم غفلةً تضطرُّهم إلى الانفلال . وتدعُوهم إلى الانفِصال ؛ وأحسِنْ إلى من حَسُن في الكفاح أثَرُه ، وطابَ في الإبلاء خَبَرُه ؛ وعِدْه عن أمير المؤمنين بالجزاء الجزيل ، والعَطاء والتَّنْويل ؛ فإنّ ذلك قادِحٌ لعزائم الأوْلياء ، باعثٌ لهم على التصميم في اللّقاء ؛ فإذا أنتَ — بمشيئة الله — شفيْتَ الصُّدور ، واحتذيْتَ المأمُور ، وأعززْتَ الدين ، وذلّلْتَ الملْحِدين ، ؛ ودوّختَ البلاد ، ونكّستَ رؤوس أهل العناد . فانقلِبْ بعساكر أمير المؤمنين ، ومُطَوَّعة المسلمين ، إلى حضرته واثقاً بجميل جَزائه ، وجليل جِبائه ؛ وطالِعْ في مَوْردك ومَصْدَرك ، بما يجدّدُه الله لك ويفتَحُه على يدك ؛ واذكُرْ ما أشكل عليك ليُمِدّك أميرُ المؤمنين بالتبصير والتوقيف ، والتعليم والتّريف ؛ واستعِنْ بالله فهو خيرُ معين ، وتوكّلْ على الله فإنه نعم الوكيل .

هذا عهدُ أمير المؤمنين إليك ، فاعمَلْ به وانتهِ إليه يسدِّد الله مَساعيَك ويصوّب مَراميَك ؛ إن شاء الله تعالى .

قلت : وأورد في حِلال ذلك من تقاليد ارباب السيوف جملةً أسقَط من صدرها التحميدات .

ما أوردَه في رسم تقليد الإمارة على قال أهل البغي أن يُقال بعد التحميد ما مثالُه :

وإنَّ الله تعالى أوجبَ طاعةَ أُولى الأمْر على كافَّة المؤمنين ، وأكَّد فرضَها على جميع المسلمين ، فقال جل قائلاً :(يأيُّها الَّذين آمَنُوا أطيعُوا الله وأطيعُوا الرَّسُولَ وأُولي الأَمْرِ مِنكم) . علماً منه تعالى بأنَّ الطاعة مِلاكُ الأمر ونِظامُه ، ويِسَاك الجُمْهور وقِوامُه . وأنه لا تتِمُّ سياسةٌ مع الشِّقاق والانحراف . وأمر سبحانه باستِتابة من ألقى العِصْمة من يَدِه ، ونبذَ الطاعةَ وراء ظَهْره ؛ بشافي المَوَاعِظ والتبصير ، ونافع التنبيهِ والتذكير ؛ فإنْ أقلَع وتاب ، ورجَع وأناب ؛ وإلا جُوهد وقُوتِل ، وقُوبِل بالرَّدْع حتى يُقْبِل ويعتصم بالطاعة ، وينتظِمَ في سِلْك الجماعة ؛ فقال تعالى : (وإنْ طائِفتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقتَتَلُوافأَصْلِحُوا بَيْنَهُما). وقال : (فَقَاتِلُوا التِّي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلى أمْر الله) . وإنَّ الغُلاة(١٨) فارقُوا اجتماعَ المسلمين ، وانسلخُوا من طاعة أمير المؤمنين ؛ نابِذين لبَيْعته ؛ شائِين بُطْل دعوته ؛ وشقُّوا عصا الإسلام ، واستخفُّوا محمل الحرام ، واستوطَئُوا مَرْكَب السيئات والآثام ؛ وعرَّجوا عن قَوِيم السَّنَن ، وسَمَّوْا بأراذل البِدَع أفاضل السُّنَن ؛ وسعَوا في الأرض بالفَسَاد ، وجاهَروا بالعِصْيان والعِنَاد ؛ وكاتَبَهم أميرُ المؤمنين مبصِّرا . ومُعْذِرا مُنْذِرا ومخوِّفاً محذِّرا ، ودعاهُم إلى التي هي أصلَحُ في الأُولى والأُخْرى ، واربح في البَدْء والعُقْبى ؛ وأعلمهم أنَّ الله تعالى لا يقبل صلاتَهم ولا صِيامَهم ، ولا حَجَّهم ولا زكاتَهم ، ولا يُمْضِي قضاياهم ولا حُكوماتِهم ،

(١٨) في الأصل الغلاب وليس بواضح المعنى والمراد البغاة .

ولا عقودَهم ومُناكحاتِهم ، ما دامُوا على معصيةِ إمامهم ؛ ومُفارقة وليِّ أمْرِهم ؛ الذي أوجبَ عليهم طاعتَه ، وفرض في أعناقهم تباعتَه ؛ وتابَعَ في ذلك مواصلا ؛ ووالاه مُكاتبا ومُراسلا ، فأصَرُّوا على العقُوق ، واستمرُّوا على اطِّراح الحُقُوق ؛ ودعَوْا إلى الأسْوَإِ لها من إقدام الجيُوش عليهم ، ونَقْل العساكر إليهم ؛ ومقابلتِهم بما يقوّم أوَدَهم ، ويُصْلِح فاسدهم ؛ ويزَعَ جاهلهم ، ويوقظ غافِلَهم .

وإنَّ أمير المؤمنين تخيرَّك للتقدّم على الجيش الهاتِف نَحْوَهم : لما يعلمه من شَهامتِك وصَرَامتِك ، وسَدادِك وسياستِك ، وإخلاصك وإخلاصك ووفائك ، وكِفايتك وغَنائِك ، (ويوصف بما تقتضيه منزلته ، والأمر الذي هو أهْل له) .

وهو يأمُرُك أن تقدم النفوذ إليهم ، مستنْجِحا دعاءَ أمير المؤمنين ، مستنْزِلا لصُرُوف الغالبين ؛ مستشعِراً لباسَ التقوى ، في الإعلان والنَّجْوى ، فإذا نازلْتهم في عُقْر دارهم ، فأذِقْهم بالمضايقة وبالَ أمْرِهم ؛ واسْلُكْ بهم سبيلَ أمير المؤمنين وافتَتِحْهم بالإرشاد ، وحُضَّهم على ما يقضي بصَلاَح الدنيا والمَعَاد ؛ فإن استقاموا وتنصَّلُوا وراجعُوا ورجعُوا فأعطِهِم الأمان ، وأفِضْ عليهم ظِلَّ الإحسان ؛ وإن أصَرُّوا وتمرَّدُوا ، وجاهدُوا واعتَدوا ، فشمِّرْ لمنازلتهم ، وصَمِّم في مقاتَلَتهم ؛ واثقاً بأن الله تعالى قد قضى بالنصر لأولياء أمير المؤمنين وأهل طاعته ، والخِذْلان لأعدائه وأهل مَعْصيته ؛ إبانةً بذلك عن تأييده لمن اعتَصَم بحبله . ودفْعه لمن انسلخ من ظِلِّه ؛ وحُجَّةً بالغةً لمن تمسَّك بطاعته ، وموعظةً شافيةً لمن استخفَّ بحَلِّ معصيته ؛ فإن مَلَّكَك الله تعالى البلاد ، وطَهَّرها من أهل الفساد ؛ وشرَّد عنها الدَّعّار والأشرار ، إلى أقاصي الدِّيار ؛ فاجْبُبْ نَواعِقَ الفتنة والضَّلالة ، وخَفِّ آثارَ ذَوِي الغِيّ والجَهَالة ؛ وأسْبِغ الأَمْن على أهل السَّلامة ، وأفْرِغ العدلَ على مَنْ

سلك سبيلَ الاستقامة ؛ وأجر الأمْرَ في الخُطْبة لأمير المؤمنين على الرَّسْم المحدُود ، والمَنْهَج المعهود ، وطالِعَه بما انتهيتَ إليه ، ليكاتِبَك بما تعتمدُ عليه .

ويضمَّن هذا العهد ما يقع فيه من شروط العهد المتقدم ، ويؤُمْرَ أن لا يستصحب من الجُند إلاَّ من يثِق بإخلاصه وصفائه ، ويَسْكُن إلى أمانته ووَفَائه ؛ وأن يرْفُض المدخول النِّيه ، النَّغِل الطويَّه ، فإنه لا شيءَ أضَرُّ على المحاربة من لقاء عدوّ بَجيْشٍ مُخامِرين ، وجند مُماكِرين ؛ وقد يكون في العساكر مَنْ يُداهِن ويظهِر الخِدمة وهو في مثل العَدُوّ : إما لأنّ بينهما سالِفَ وِداد وولاية قد تأصَّلتْ بإطماع وإفساد ، أو يكون لسطانه قليل الإحماد . وهذا الذي اوردناه ليس بمثال جامع وإنما هو الذي يتميز به هذا العهدُ عما تقدّمه ، والكاتِب إذا احتاج إلى استعماله رتَّبه وقدّم ما يجب تقديمه ، وأخر ما يجب تأخيره و [أضاف اليه ما تيجب] إضافته ؛ إن شاء الله تعالى .

ان اهمية الكتاب ودوره في تواصل المعرفة في الابواب التي طرقها وقدرة المؤلف في استيعاب هذه المعارف وتميّزه في القرن الخامس الهجري حملتنا على ان نتابع اخبار المؤلِف والمؤَلف لأيصال ما انقطع وتقديم ما ينفع لتظل حلقة المعرفة التي ازدهرت أصولها بناء واكتملت صورها عطاءً ومعرفة قائمة في التكوين الثقافي والحضاري لهذه الامة العظيمة .